

الحُبُّ وَالْجَمَالُ عند العرب

صفات الحب وأغراضه وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق والجمال
والغزل ووصف النساء ومقاطيع رائقة ونوادر فائقة للشعراء العشاق
من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع

بقلم
العلامة المحقق المنفور له
أحمد نيمور باب

دار الكاتيب العربی

1912

تمهيد لفكرة الكتاب^(١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي حكم بعلمه فقهر ، ودبر بلفظه فيسر ، وألف بين مَنْ شاء مِنْ أحابيه وجعلهم أحابيًّا ، وجعل لمجالس الأنس من الفضلاء والندماء ألبابا ، فهم يتذكرون النوادر والأخبار ، وينتمون في تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتفاشد الأشعار . أحمدته على كلِّ نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كلِّ ذنب يوجب النعمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تجبرني من الخطايا والزلل ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع رائعة ، وقصائد فائقة ، من كلِّ لفظ بديع ومعان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخلفات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب ، ولم نجد أثرًا لبقية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يعجل الأجل تحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبّه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،
فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبّيني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أخى قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .
اللهم اجعلني أحبّك بقلبي كلّه ، وأرضيك ببجهدى كلّه .
اللهم اجعل حبّي كلّه لك ، وسعي كلّه في مرضاتك .

بقلم الأديب الشاعر

الأستاذ عبد السلام شهاب

عضو اللجنة التيمورية والمحرم بالأهرام

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالتزام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المفطور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عني بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمّنه من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهمّ كتب التراث العلمي والأدبي العربيّ ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذي قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد عليّ بن أحمد بن سميد بن حزم الأندلسيّ ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخاطبيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتعرضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لابد واجد أنها كلها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحب ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثم هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلاحظ أن « الحب والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوق دقيق واع لا يحيط بهم من روائع الجمال وبدائعه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمال وتلال وجبال مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيوم ونجوم ، تسحر العيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدق وإخلاص ، فهذان برهانا آخران على أنهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحب وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تفنّى بجمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المعلقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي :

أفأطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التدلّلِ وإن كنت قد أزممت صرعى فأجملِي
أغرّك مِنّي أن حبّك قاتِلِي وأنك مهماً تأمرى القلبَ يفعل ؟

ويفتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :

أَذْنَتْنَا بَيْنِيهَا أَسْمَاءُ رَبًّا ثَاوِيًا يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

أما طرفة بن العبد ، فقد أكل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة » محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبه التي يعضى عليها هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرَقَةٍ شَهْمَدٍ تُلُوحُ كَبَائِيِ الوُثْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

ويقول عنتر بن شداد العبسي في معلقته ، موجّهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَّاحُ نَوَاهِلُ مَنِيَّ وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَُا لَمَعَتْ كَبَارِقِ لَفْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

ويفتح النابغة الذبباني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أقفرت من أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسِّنْدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
أَضَحَّتْ خَلَاءَ وَأَضْحَى أَهْلُهَا اخْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

ويقول ذو الأصبغ العدواني ، يشكو فراق محبوبته « ريا » :

يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلِ الْبَثِّ حَزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا . . أُمَّ هَارُونَ
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَايِينِي
تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونِ

ويقول السموءل بن عاديا من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن ينتهي عن حب صاحبه مهما يطل عذله ولومه :

أَعَاذَتْنِي : أَلَا - لَا تَعَذِّلْنِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذِلَةٍ عَصَيْتُ
دَعَانِي وَارْشَدِي إِنْ كُنْتُ أَغْوَى وَلَا تَغْوَى - زَعَمْتَ - كَمَا غَوَيْتُ

أَعَاذِلُ : قد أطلت اللومَ حتّى لو أنّي مُنْتَهٍ . . . لقد انتَهَيْتُ
وَحَتّى لو يَكُونُ فتى أناسٍ بكى من عَذَلٍ عَاذِلِهِ ، بِكَيْتٍ
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقُّ وأعذبُ وأنقذ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري في بساطة محبّبة ، فقال :

وأحبّها ، وتحبّني ويحبُّ ناقتها بميرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليتهم فلا شك في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورّقّق من طباعهم ومما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجنسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البناء .
وأوجب معاشرّة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدنيا
المرأة الصالحة » . وقال : « حُبُّ إِيّ من دنياكم ثلاث : النساء والطيبُ وقُرّةُ عيني
في الصّلاة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فتهجّوا نهجهم ، وأتبّعوا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً
لمعنى العفة والرّغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هذيلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فأتبعها رجلٌ يريدّها عن نفسها ، فرمته بحجر ففضّنت
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضی الله عنهما - بأن قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالي العربي زياد بن أبي سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يأتي من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما ألقى من الخوارج والتنوّر ؟ قالوا : فن أنعمُ الناس عيشة أيّها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبيّ - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدْ مَكْبُولُ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، وعاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواجع الحب ، ويميز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثَ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلَنُ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعُهُنَّ وَهْنٌ فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب ففَّ فأت ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : جميل بن معمر صاحب بئينة الذي يقول فيها :

وإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ بُئِينَةٍ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاشِي لَأَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألني وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى وأخيره لا نلتقي وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :

أَقْلَبُ طَرْفِي ، فِي السَّمَاءِ لَمَلَهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ يَنْظُرُ .

ومنهم جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالمعشوق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ، فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنموه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلاً :

« يَا بَتِ : هَلْ رَأَيْتِ أَحَدًا قَدَرْتُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلِيَ نَفْسَهُ .
وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَحْمُو ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أَزِيلَ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ
لَأَسْبِيلُ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتَ بِهِ لَحِينَ قَدْ أُتِيحَ لِي . عَلَى أَنِّي أُمْتَنِعُ عَنْ طُرُقِ
هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلَامِ بِهِ وَلَوْ مِتُّ كَمَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ
لَهَا حَتَّى قَضَى أَسَى وَلَوْعَةً لِفِرَاقِهَا .

ومنهم قيسُ لُبْنَى . وكان قد تزوجها . وسعدا بقبائل الحبّ حيناً ، ثمّ طلقها زولاً
على إرادة أبيه . ولم ينغمه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد السلوان . لكنه لم يستطع
صبراً على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنهم توبة بن الحمير وصاحبته ليلي الأخيلىة ، وفيها يقول :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَاحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدْدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

ومنهم كثير وصاحبته عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبته الثريا ، وقيس بن الملوّح
مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبته لُبْنَى ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم
من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يمدُّ في طليعة المشهود لهم بالتمعق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جمهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والغناء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحبّ والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخطّ المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتملت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتمز إضافتها إلى الأصول ، فتولّت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أراده .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أوّلها في « صفات الحبّ وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمّها عن ماهية الحبّ ومعنى الحبّ والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبّين والحبيب الأوّل والحبيب الآخر والحبّ مع اختلاف الدّين
وبالباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حبّ الولد وحبّ الأيامي واليتامي ، وأمثال في الحبّ ، وحجة بالغة .

وبالباب الثالث عن « حبّ الأزواج » وفيه فصول عن زواج النّبي من خديجة وحبّها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .
والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حبّ امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » .
والسابع عن « العيون وما قيل فيها » نثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهم تردى العقلاء وتذلّ الأعزاء .
أمّا الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال
ومن الحبّ إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإنّا لعلّى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها - وقد اجتمعت مفصّلة وموضّحة
فى هذا الكتاب الجديد - جديرة بأن تجعله - كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله - ذا نفع كبير للأدباء والتأديين ولقراء المريسة أجمعين ،
والله وليّ التوفيق .

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الوراق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب .

وسئل حماد الراوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذِّكر ، وأغصانها السَّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها النِّية .

وقال مُعَاذُ بْنُ سَهْلٍ : الحبُّ أصعبُ ما رُكِبَ ، وأسَّكرُ ما شُرِبَ . وأقطعُ ما لُقِيَ ، وأحلى ما اشْتُهِى ، وأوجعُ ما بَطِنَ ، وأشهى ما عُلِنَ . وهو كما قال الشاعر :

وللحبِّ آفاتٌ إذا هي صرَّحتْ تَبَدَّتْ علاماتُ لها غررٌ صُفْرُ
فباطنه سقمٌ وظاهره جوى وأوله ذِكرٌ وآخره فِكرُ

وقال بشار العقيلي :

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً تُدَنِّي إِلَيْكَ فَإِنَّ الحبَّ أَقْصَانِي

وقال غيره :

أحبُّك حبًّا لو تحبِّين مثله أصابك من وجدٍ على جنون
لطيفاً من الأحشاء ، أمّا نهاره فدَمَعٌ ، وأمّا ليلُهُ فأنينُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف : الحبُّ أولُهُ هزلٌ وآخره جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالتهَا - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحذور في الشريعة .
إِذِ الْقُلُوبُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .

وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .

وللحب علامات منها : إيمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات

إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعمف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ قَابِئُ مُعَلَّقٍ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ تصدَّقَ فَأَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تَفَقَّحُ يَمِينُهُ » .

الحب والمحجوب^(١) :

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحجوب ، ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : فحُبُّ علاقة ، وحُبُّ لخلان ، وحُبُّ هو القتل .

وكما كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر

لاختلاف أنواع الحب ماكدنا نعرف مافيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أبا مروان من أجل تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ بالمرء أَرْفَقُ
ووالله لولا تَمَرُهُ ما حَبَبْتُهُ وَكانَ عِيَاضُ مِنْهُ أَذَنِي وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
حَبُّ ولم يقولوا : حابُّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبُّ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيرهُ مني بمنزلة المحبِّ المكرمِ

فهذا من : أحبت - كما أن المحبوب من : حبيت ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في الحب ، مع أنه يطلق عليهما .

فمن جميئه بمعنى المفعول قول ابن الدُمَيْنَةِ :

وإن السكيب الفرد من جانب الحمى إلى وإف لم آتِه لَحِيبُ

أى : لمحبوب . ومن جميئه للفاعل - قول المجنون :

أتهجرُ ليلي بالفراق حبيبها وما كلُّ نفس بالفراق تطيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حِبُّ : مثل خدن ، نَحْدُنْ وخدينٌ مثل :
حَبَّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحبوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب والسنتهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أثقلهما .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقيماً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبغي عنه زوالاً ، اتخذ له في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تزل الجبال الراسياتُ وقلبهُ على المهْدِ لا يلوى ولا يتغيرُ

وفى شرح لامية المعجم . . للصفدى :

فالحبُّ حيثِ العدا والأسدُّ رابضةٌ حولِ الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسَلِ

الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنبارى :

« الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكى عن بعض العرب أنهم يقولون : فلانة حَبَّتْ .

عشق الشرف وعشق الجمال :

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسن شرفها ، فإني لأعشق الشرفَ كما أعشقُ الجمال » .

وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .

وقال كثيرُ الشاعر :

وأنت التي حببتِ كلَّ قصيرةٍ إلى وما تدرى بذاك القصارُ

ولم يرد : القصيرة القدة ، وإنما أراد المقصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه ..

والمقصورة هي : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أى :

محبوسات . وقوله تعالى : « فيهن قاصراتُ الطرفِ » أى : قصرن نظرهن على أزواجهن فلا يبنين بهم بدلاً .

ويدل على مراد كثير في بيته ، قوله في البيت الذى بعده :

عنيتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أَرِدْ قصارَ الخطى ، شرَّ النساءِ البحارُ

والبحارُ : القصار .

أحلام المحبين :

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفّ اللسان، يهوى الحُسن أينما وجده، وينحو فيه منحى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال المُذريّ ... وقد عشقَ الأدبَ الرفيع، كما عمّرَ فوقَ الثمانينَ عاماً ، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضنّ عني بالنزّر إذ أنا يقظاً نُ وأعطى كثيره في المنامِ
والتقيتنا كما اشتهينا ولا عي بَ سوي أن ذاك في الأحلامِ
وإذا كانتِ الملاقاةُ ليلاً فالليالي خير من الأيامِ

وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبه وعشقه للحُسن والجمال :

بنينا خجيمين في ثوبَي هوى وتقي يلفئنا الشوقُ من فرقي إلى قدمِ
وباتَ بارقُ ذاك الثغرِ يوضحُ لي مواقعَ اللثمِ في داجٍ من الظلمِ

الحبيب الأول والحبيب الآخر :

قال حبيب الطائي :

قلّ فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحينئذٍ أبداً لأوّل منزل
وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فعن ذلك قول بعضهم :

افخرَ بآخر من كلفت بحبه لا خيرَ في حبّ الحبيب الأول
أنشكُ في أن النبيّ محمداً ساد البرية وهو آخرُ مرسلٍ !

ومنه قول ديكِ الجنِّ الحمصى :

كذب الذين تحدّثوا أنّ الهوى
لا شكّ فيه للحبيب الأولِ
ما لم أجنّ إلى خراب مقفر
درست معالمة كأنّ لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلغه قول ديك الجنّ » :

كذب الذين تحرّصوا في قولهم
ما الحبّ إلّا للحبيب الأولِ
أو طيّب في الطعم ما قد ذقته
من ما كلّ أو طعم ما لم يؤكل
قال العلوى الأصهبانى (١) :

دع حبّ أول من كلفت بحبه
ما قد تولى لا ارتجاع لطيبه
إن المشيب وقد وفى بمقامه
أوفى لدى من الشباب النادر
دنياك : يومك دون أمسك فاعتبر
ما الحبّ إلّا للحبيب الآخر
هل غائب اللذات مثل الحاضر؟
ما السالف المفقود مثل النابر

الحب مع اختلاف الدين :

قال أبو الطحّان الأسدى ، وكان نديماً لفاس من النصارى :

كأن لم يكن فى القصر، قصر مقاتل
وزورة ظلّ ناعم وصديق
معى كلّ فضفاض الثياب كأنّه
إذا ما جرى فيه الدام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم
ويرتاح قلبى نحوهم ويتوق

ولاشيخ رجب الحريرى قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصرانى يقول فيها :
أرقُّ من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءُ جَنَمًا بِاللَّحَاطِ يُشْرَبُ
ولفظه السَّخَرُ الحلالُ يطربُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ مُنْهَدٌ يَعَذُّبُ
فأعجب لُشْهَدٍ مُسْكِرٍ مِنْ سِخْرِ

قابِلته بأحسنِ الكلامِ مُرَجَّبًا مُعْظَمًا مَقَامِي
ووجهُ الوضَّاحِ فى ابتسامِ وَخَصَّنِي بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
وبالجميلِ والحيا والبشرِ

الحبُّ فى كلِّ حال :

قال عنتره العبسىُّ به يصف حبه لعيلة ابنة عمه ، على ظلمها إياه :
أُحِبُّكَ يَا ظُلُومُ وَأَنْتَ مَنِّى مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
وَلَوْ أَنَّى أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخِفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَانِ

وقال بعضهم ، فى الوداع :
وَدَّعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمُ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَى إِذْ رَاخُوا . . فَمَا سَلَّمُوا
وَاسْتَخَسَّنُوا ظُلْمِي فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يُظْلِمُ

وقال دُعْبَلُ الخَزَاعِي :
وَقِفْ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيسَ لِي مَتَاخَرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حَبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيُكْنِى الْيَوْمُ
وَأَهْنِئْنِي ، فَأَهْنَيْتُنِي نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهْوٍ عَنْكَ يَمْنُ يُكْرَمُ

حب النساء المال :

قال الزُّيَر بن بكَّار في أنساب قريش^(١) : كان « نُبَيْهٌ وأخوه منبّه » من وجوه قريش ، وذوى النِّبَاهَةِ فيهم ، ولكنهما قُتِلَا « بيدرٍ » كافرَيْن ، وكانا من الطَّعَمَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ .

لقد كان « نُبَيْهٌ » بضمّ النون وفتح الموحدة بمدّها « ياء » ساكنة « فهاء » وكنيته «أبو الزَّرام» بتشديد الزَّأى المعجمة ، ابن الحجاج بن عامر بن حُذَيْفَةَ بن سعيد بن سهم بن عمر ابن هُصَيْنٍ «بالتصغير» بن كعب بن لؤى بن غالب. وكان نُبَيْهٌ شاعراً مطبوعاً على الإِجَادَةِ ، وقد قيل : إن زيد بن عمرو بن نفيل كان يقول :

تلك عرساي تنطقان لهجرٍ وتقولان قولَ أثرٍ وعثرٍ

فقال نُبَيْهٌ من القافية نفسها ، في زوجته وقد سألتاه الطلاق :

تلك عرساي تنطقان على عمّ	دِأَنَّ اليومَ قولَ زورٍ وهترٍ
سألتاني الطلاق أن رأتا ما	لى قليلاً . . قد جثمتانِي بُنْكَرٍ
فلعلِّي أن يكثرَ المالُ عندي	ويعرّى من المقارمِ ظهري
وترى أعبدُ لنا وأواقٍ	ومناصيفُ من خوادمَ عشرٍ
ونجرُ الأذيالَ في نعمةٍ ثمّ	تقولان : ضع عصاكَ لدهرٍ
وى كأن من يكن له نسبٌ	يُحِبُّ ومن يفتقرُ يعيشَ ضرّ
ويجنبُ سرَّ النجى ولكن	أخا المالَ مُحضَرٌ كُلُّ سرّ

ومن شعره :

قصر الشيء بي ولو كنت ذاماً	ل كثير لأجلبَ الناسَ حوْلي
ولقأوا : أنتَ الكريمُ علينا	ولحطوا إلى هوايَ ومَنّلي
ولكِلْتُ المعروفَ كيلاً هنيئاً	يُعجزُ الناسَ أن يكيلُوا كَكِلي

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبتنى إلا امرأً ذا مالٍ
لا أبتنى إلا امرأً ذا أنْضُرٍ كما أسدُّ مفارقٍ وخِلالي
فلا حرصنَّ على اكتسابِ مُحَبِّبٍ ولا كَسَبَنَ في عَفَّةٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج ٢ :

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بأبن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصَّنَاعَةِ والرَّقَّة . كان إذا تكلم لا يظنُّه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطٌّ نسخيٌّ غايةً في الحُسْن إلا أنَّه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان مغرماً بشعر أبي العلاء المعرّي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللزوميات . وسمعه يقرّر في تلك الرؤيا : أنَّ الخير كلَّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعيةُ عليه ، والشرُّ كلَّ الشرِّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزري :

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتابُ ربِّ المالين المرهمُ
أو كنت مصطحباً حبیباً سالكاً سُبُلَ الهوى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في الغزل :

ما عشتُ من ألمِ الفراقِ لو لم أطلُ أملَ التلاقِ
فأظُلَّ كاللسوعِ من أنفى النوى ، ورجاى راقِ
يا ثالك القمرين إلا في الكسوفِ وفي الحاقِ
حتام دمعى فيكَ لا يرقا . . ورؤى في التراقِ
وإلام يستسقى الفؤا دُ ظمًا ، وأجفانى سواقِ

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
 والحب ما أروى الضلوع عَ جوى ، وما أروى المآقي
 فَعَسَاكَ أَنْ تَجْزِي مُحِبَّةً كَ في المحبة بالوفاق
 ولقد لقيتُ هواك أع ظم ما لقيتُ ، وما ألاق
 وصبرتُ فيكَ على العدا صبر الأسير على الوثاق
 وعلمتُ أن الصبر يا عذب اللعى مرَّ المذاق
 فاعرض عن الإعراض إء راضى لديك عن النفاق
 وارفق ولو بالالتفا ت على ما بين الرقاق
 فلقد يكون تَلَفْتُ الأ عناق داعية المناق
 واستبق منى باللقا ء بواقياً ليست بواق
 أعضاء صب ، ماله إلّاكَ من عَيْنِكَ وافي
 فالبعض سود عيونها أمضى من البيض الرقاق
 وقدودُهَنَّ رواشق في الطعن كالسهم الرشاق
 وإذا بُليت بمجنَّ بُليت بالدمع المراق

ومن جيد شعره قوله :

تنفدأك ساقياً قد كساك الـ حُسْنُ من فرقك المضيء لسائك
 تشرق الشمس من يدك ، ومن في كَ الثريا ، والبدر من أطواك
 أوليس العجيب كونك بدرًا كملًا ، والحاق من عشائك
 فتنة أنت إذ تميت وتحى بتلاقيك من تشا ، وفراقك
 لست من هذه الخليفة بل أذ تَ ملكك أرسلت من خلّاقك

الحب خضوع النفس :

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل الميمنى الحسينى مشهوداً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن المَخَا ، وحصل له بها شأن عظيم ينبطه عليه صفوة أصحابه وآترابه ، إذ كان له يد طولى فى العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان زاهداً فى الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُجِدُّنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِ
قد قلتُ حينَ جهلتنى وعرفتنى رُوحى فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ
أنتَ القَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحَبَّتَهُ فَلَكَ السَّعَادَةُ فى الشَّهَادَةِ يَا وَفِى
ولقد وصفتُ لك الغرامَ وأهله فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ فى الهوى مِنْ تَصَطَّفِ

وقال مخمساً قصيدة ابن النبى :

رقم العذولُ زخارفاً وتصنمًا وأشاعَ نقضَ العهدِ عنكَ وشَفَعَا
فَأَجَبْتُهُ وَالنَفْسُ تَقْطُرُ أَدْمُعَا أَفَدِيهِ إِنْ حَفَظَ الْهَوَى أَوْ ضَيَّعَا
مَلِكُ الْفَوَادِ فَاغْشَى أَنْ أَصْنَعَا

حكم الغرامُ فَلَذَّ بِهِ وَبَحَكِهِ وَابْتُتْ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبِ رِسْمِهِ
وَاخْضَعْ لِمَدَالِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظَلَمَ الْحَبِيبَ كَظَلَمِهِ
حُلُوءًا فَقَدْ جَهَلَ الْحَبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بِلُطْفِ جَمَالِهِ قَلْبِي اقْتَنَصَ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكَصَ
وَبَاتَ حُجْلِي حِينَ زَمَزَمْتُمْ رَقَصَ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارَكَ الصَّ بَرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَفَا وَتَضَمَّنَا
وَفَرَّتْ مِنْ نَبْلِ اللَّوَاظِظِ أَهْمِي وَكَلَّمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ

وهجرتني ظُلماً ولم أظلم هَلْ في فؤادك رحمةً لمتيم
صمت جوائحه فؤاداً موجماً

إني اعترفتُ بزَلَّتِي وجنائيتي . ورضاك مقصودي وغاية غايي
يأمن ضلالي فيه عين هدايتي هَلْ من سبيل أن أبت صبايتي
أو أشتكي بلوأي أو أتضرعاً ؟

لِي في حماك مسارح ومطامح كم بث للفرزان فيه أطارحُ
يا قلبُ إن اليومَ طيبك نازحُ ياعين عُذرك أن حُبِي واضحُ
كلّي لفرقتِه أرادَ وأزَمعاً

أشقى الناس أهواها :

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان
له مذاكرة تأخذ بلبِّ الصاحب ومحاضرات وترغَّب من محاضرات الراغب ، وله شعر
قصير منه قوله :

كتبت وأفكارى بحبك مُزَّقتُ كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولو حُمَّ لي التوفيق كنت تركته ولكنني أصبحت غير موفق
إذا قيل أشقى النَّاس مَنْ بات ذا هوى فلا تفكرون هذا المقال وصدق

وقال متغزلاً :

سألتهَا عن فؤادي أين مَسْكَنُهُ فإنه ضلَّ عني عند مَسراها
قالت : لدى قُلُوب جمة جمعت فأياها أنت تبني ؟ قلتُ : أشقاها

رابعة المدوية :

روى ابن خلكان قصة « رابعة المدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل المدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .
وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرق
بالتأز قلباً يحبك ؟ ... فهتف بها مرة هاتف : ما كنا تفعل هذا فلا تظنني بنا ظنّ السوء !
وكان سفيان الثوري عندها يوماً ، فقال : واحزنه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلة حزناه ! . لو كنت محزوناً لم يتهيا لك أن تنفّس .
وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة المدوية ، فرأيتهما في المنام تقول : هداياك تأتينا على
أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمالى فلا أعدّه شيئاً .

ومن وصاياها : اكنتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :

إني جعلتك في الفؤادِ محدّتي وأبجّتُ جسّمي من أرادَ جلوسي
فالجسمُ مبني للجلّيسِ مؤانِسٌ وحبيب قلبي في الفؤادِ أنيسي

الحب أحسن المعاصي :

في « لوعة الشاكي ودمعة الباكي » لابن الصفي :

انتصف الليل ، وأقبلت عساكرُ السعد بالرجل والخيل ، فأمرت صاحبي برفع الدمام ،
وتجهيز المرقد للنعيم ، فرفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطلال ، وعلق في المرقد
نقحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والمنبر . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : ثم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة ، فأخرج عناورد الباب بالحلقة . ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم بنا لننام ، وأنعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت : في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُقْعِدُهُ سُكْرًا وحاول أن يسعى فلم يُطِقِ
وقال لي بفتورٍ من لوحظه إن العناق حرامٌ قلتُ : في عنق
فقال : استغفر الله من الفجور واللفظ ، ومن وقوعك أيها الإنسان في النلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل وأحسن القربات .

أستغفرُ اللهَ إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِكُمْ فَإِنهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ أَلْقَاهُ
فإن زعمتم بأنَّ الحبَّ مَعْصِيَةٌ فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُعْصَى بِهِ اللهُ

الهوى قدرٌ :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ
قال : سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرقُ يلمعُ في الغمامة

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجي من الخلي . ومعناه : إن البرق يضحك والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلمع

في الغمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَى أُرْوِيَتْ مِنْ ظَمًا
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنْ الْهَوَى بَدَلٌ
فَحَسَبُ نَفْسِي غَيَّ عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ
لَنْ يَضْبَطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَازَى
فَالِ أَهْوَنُ الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمِدْتُ سَنِينَ أَسْتَخْفِي التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّاهِرِ حَتَّى
تَبْغُضَ مَا اسْتَطَعْتَ وَعَشْرُ سَلِيمًا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّابِكُ الْغَادِي لِطَيْتِهِ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ أَلَمِ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاءُ ، وَأَنْى فِي مَحَبَّتِهِ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

وَلَا فَكُتْ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا
مِنْ أَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوءًا وَمَحْذُورًا
مِنْ الْهَوَى وَبِأَنِّي كُنْتُ مَعْذُورًا
هُوَ هُوَ نَفْسُكَ إِكْرَاهًا وَتَخْيِيرًا
لَمْ تَلَقْ مُذُ الْفَتَكِ النَّفْسُ تَمْيِيرًا
وَلَا اضْطِرَارٍ أَنَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا
فِي الْوَصْفِ قَدَرُهُ الرَّحْمَنُ تَقْدِيرًا
وَلَنْ تَرَى لِلْهَوَى فِي الْعَقْلِ تَدْيِيرًا
تَكُنْ لَدَى عَلَى الْحَالَيْنِ مَشْكُورًا

وَتَسْلُكُ فِي الْهَوَى سَنًا سَوِيًّا
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلِيًّا ؟
وَلَا أَرْضَى مِنَ الْوَصْلِ الرِّضِيًّا
خَسِسْتُ عَنْ أَنْ أَحَبِّي أَوْ أَحَبًّا
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

أنواع الحب

ضروب المحبة^(١) :

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والعرفه . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسرّ يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد^(٢) :

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهوررنا ، ونحنُ لهم أرضٌ ذليلةٌ ، وسماؤٌ ظليلةٌ . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تسكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبّوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وإني لمملوءاً غضباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمرَ يذهب بولده سالمٍ كلَّ مذهب ، حتى لامه الناسُ فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالمٍ وقال : إن ابني سالماً ، ليحبُّ الله حبّاً لو لم يخفّه ما عصاه .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داودَ كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثمَّ كان علقمةُ ، ثمَّ كان إبراهيمُ ، ثمَّ أنت يا داودُ .
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ أُلْفُهُ فيه حتَّى اشتريتُ له شِكوَّةَ بدائيق .

وقال زيد بن عليٍّ لابنهِ : يا بُنَيَّ ، إنَّ الله لم يرْضَكَ لى فأوصاك بى ، ورضيتنى لكَ فخذْ ربيكَ ، واعلم أنَّ خيرَ الآباءِ للأبناءِ منْ لمْ يدعْهُ التَّدليلُ إلى التَّفريط ، وخيرَ الأبناءِ للآباءِ منْ لمْ يدعْهُ التَّقْصيرُ إلى العُقُوق .

وفى الحديث المرفوع : « ریحُ الولدِ من ریحِ الجنةِ » . وفيه أيضاً : الأولادُ من ریحانِ الله .

وقال النبیَّ صلی الله علیه وسلم ، لما بُشِّرَ بِفاطمة : « رَیحانةُ أشمَّها ورزقها على الله » .

ودخل عمرو بن العاص ، على مُعاويةَ وبين يديه بنتُه عائشةُ . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تَفَاحَةُ القلب . فقال له : انبذْها عنكَ ، فوالله إنهنَّ لَيَكِلِدُنَّ الأعداءَ ، ويُقَرِّبُنَّ البُعداءَ ، ويورثنَّ الضَّغائنَ .

فقال له معاوية : لا تقلْ ذاكَ يا عمرو : فوالله ما مرَّضَ المرضی ، ولا نَدَبَ الموتی ، ولا أعانَ على الأحزانِ مثلُهنَّ . وربَّ ابنِ أختٍ قد تقع خالَهُ .

وقال المعلی الطائی :

لَوْ لَا بُنَيَّاتُ كَرْزُغِ القَطَا يَرُدُّدُنَّ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لى مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا . بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ
وكانت فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وسلم ، تُرَقِّصُ الحُسَيْنَ بنَ عليٍّ رضى الله

عنهما وتقول :

إِنَّ بُنَيَّ شَبَّهُ النَّبِيَّ لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ

وكان الزبير بين العوام يرقص عروّة ابنه ويقول :
أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
التدّه كما الدّ ربي

وقال أعرابي يرقص ولده :

أعرف منه قلة الناس وخفة من رأسه في راسي
وقال عبد الملك : أضربنا في الولد حُبنا له ، فلم نؤدبه ، وكأن الولد أدبنا^(١) .

* * *

حب الأيامي واليتامي :

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادي الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حاكم ، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا
وأيمنا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنت مُقبلّة من البادية في رقة ، فخرجت علينا خيل
عدو فقتلت وأمرت ، فصنع قصيدته التي أولها :

تمكملت في وادي الحجارة مُسنداً أراعي نجوماً ما يرين تغيّراً
إليك أبا العاصي نصبت مطيبي نسير بهم سارياً ومهجراً
تدارك نساء العالمين بنصرة فإنك أحرى أن تُفيث وتنصراً

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه ،
فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت ؟ فأعلم بذلك ، فنزا
تلك الناحية ، وأتخن فيها ، وفتح الحصون والديار ، وقتل من العدو عدداً كثيراً . وجاء
إلى الوادي فأمر بإحضار المرأة ، وجميع من أسره له أحد في تلك البلاد ثم أمر بضرب

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكم ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدور ، وأنكى المدوّ ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله وأعزّه نصره .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :
 أَلَمْ تَرَ يَا عَبَّاسُ أَنِّي أُجِبْتُهَا عَلَى الْبُعْدِ أَقْتَادِ الْخَمِيسِ الْمَظْفَرَا
 فَأَدْرَكْتُ أَوطَارًا . وَأُبْرِدْتُ غُلَّةً وَنَفَسْتُ مَكْرُوبًا وَأَغْنَيْتُ مُعْسِرًا
 فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك الله خيرًا عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب^(١)

قول لسان الدين الخطيب :

أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشقّ إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد
 أبياتًا من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :
 تَسْأَلُنِي : مَنْ أَنْتَ ؟ وَهِيَ عَلِيمَةٌ وَهَلْ بَفَتَى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ
 فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى قتيالك ، قالت : أَيُّهُمْ فَهْمُ كَثُرُ ؟
 وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
 من حيّ عن بينة » .

ثم قال المؤلف : « وهذه حكم تجرى مجرى الأمثال : المحبة بحرٌ بعيد الشطّ ، والفناء
 مُنتَهَى الخطّ . المحبة مهوى من بعيد ، ومجال وعْدٍ ووعد .
 المحبة ظهرٌ لا يركبه من يرى الموت فيتكبه . كم قصص المحبة من ظهر ، وكم سير
 صوتٌ إلى قهر .

(١) في نفع الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغة :

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قلتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ . . زَائِرًا	وَلَا يُبْلِمُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادِي بَنًا	قلتُ : فَسَيَفِي مَرْهَفٌ بَاتِرُ
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا	قلتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قلتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قلتُ : فَإِنِّي سَابِحٌ مَاهِرُ
قالتُ : . . فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قلتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَحَوِّلِي إِخْوَةَ سَبْعَةٍ	قلتُ : فَإِنِّي لَهُمْ حَاضِرُ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْتَنَّا حُجَّةً	فَأَتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةٌ لَا نَامُ وَلَا آمِرُ

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة^(١) :

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال البرّد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان ممّا قال فى تلك الخطبة : « أمّا بعد ، فإنّ محمداً من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجع به شرفاً ونبلًا وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال قل ، فإنّ المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنفه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله البرّد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إنّ عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن خويلداً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجر معه فى مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جويرة لها وقالت له : جئتُ خاطباً يا محمد ؟ قال : كلاً . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلّا تراك كفواً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مُستَحْيياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها :

لقد مَنَّ الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ، لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ » .
وقد شَاءت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صنائر الأمور ، فاشتهر بالصادق الأمين . وقد سمعت خديجة وهى سيدة من نساء العرب به ، ورغبت فى أن يتجر بمالها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصحبه خادمها « ميسرة » . . . الذى شاهد مشاهد من طيب الخلال ، والصدق فى الأقوال ، والإخلاص فى الأعمال . وقصّ الخادم على سيده ذلك . ومن ثمّ آتت فى سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فعرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكرًا راضياً . ولقد كان بخطبها أكبر سادة العرب وجلة ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عالٍ من الساحة وجمال الخلق والخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتسكبه بخمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة .

وبينما كان يتحنث فى غار ثور ، نأياً عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابه النبي : ما أنا بقارئ . فضمّه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفى الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علقٍ . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زملونى » وسرد عليها روايته ، فهدأت روعه بعد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءاً فقالت : والله لن يخزيك الله أبداً .

إنَّكَ تصل الرحم ، وترحم الأرامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثمَّ رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذي ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشرت خديجة رسول الله قبل الرِّسالة خمسة عشر عاماً ، حتَّى بلغ الأربعين ، معاشرة كلّها الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرّفع المسكّنة . فتقول : « كلَّ شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء ، فهو صاحب الأمر والنهي » . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، في أتمِّ وأكمل ما يتصوّر العقل الذكيّ واللبّ الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أوّل من آمن به من النساء ، وكم حَزِنَ عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتّى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قطّ . فما إن كان بمجلس مع عائشة الصّديقة بنت الصّديق وتذكّر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتّى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قائلةً : أو لم أكن يارسل الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغيّر وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحدٌ ، لقد أمدّني فقيراً ، وأكرمتني معاشراً ، وملأت عليّ أركان حياتي ، أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبه ألاّ تذكرها إلاّ بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة :

قال صلى الله عليه وسلم : « تَزَوَّجُوا الْوُدَّ الْوُدَّ من النساء ، فإنّ مكثركم الأمم يوم القيامة » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال : أبني امرأة . فقيل له : ما صفتها ؟ قال : أريدها بكرّاً كثيب ، أو ثيباً كبكر ، حلوة من قريب ، نخمة من بعيد ، كانت في نعمة وأصابتها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كنّا أهل دنيا وإذا افترقنا كنّا أهل آخرة .

السيدة سكينة بنت الحسين :

كانت سكينةُ بنتَ الحسين^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعبُ بن الزُّبير - فأت عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول . ثم تزوجها زيدُ بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يُدْخِلَ معها غيرها من النساء ، فلم يَسْمَعْهُ إِلَّا الإِذْعَانُ لأمر سُلَيْمَانَ . ولا اعتبار بضعف إرادته باتصاله بنيرها من الجوارى صارت طالقةً . فطلَّقَهَا ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إنَّ الطَّرْقةَ الشُّكَيْنِيَّةَ منسوبة إليها . ولها نوادرٌ وحكاياتٌ ظريفةٌ مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنَّها ناظرتُ عُرْوَةَ بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له : أنت القائل :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحَبِّ فِي كَبْدِي ذَهَبْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْمَاءِ أُبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرَدْتُ يَبْرِدِ الْمَاءِ ظَاهِرِهِ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَّقِدُ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قَالَتْ وَأَبْنَيْتُهَا سَرَّى وَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تَحِبُّ السَّيْرَ فَاسْتَتِرِ
أَلَسْتُ تُبَصِّرُ مِنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا غَطَّى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرَّبَابُ بنتُ امرئ القيس الكلبيَّة . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فأت - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزُّبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سميها زبراء ، قالت : أسميها باسم إحدى أمهاتي ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فأت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتلَ عنها .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أختي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكيم ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نفرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن حريم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعه خاب البقيع وخاب فيه الزارع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يعصى لها أمراً ولا يغيرها ، ولا ينفقها شيئاً تريده ، ولا يجمع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث يرغبها ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال المها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنك قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكرؤنا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتكم ؟ قال تجديني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : ياسكينه ، أخثك ناسكة وأنت مزاحة قالت : إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام ^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم أمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شَبَّ الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :

فَنَفَاكَ الْأَعْرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تُنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ

وطافت سكينه بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أعييت في أول طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :

يَقْعُدْنَ فِي التَّطَوَّافِ آوَنَ وَيَطْفُنَ أحياناً على فتر

حَتَّى اسْتَلَمْنَ الرُّكْنَ فِي أَفْ مِنْ لَيْلِهِنَّ يَطَّانَ فِي الْأَزْرِ

فَفَرَّغْنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جَهَدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طُفِنَ سَبْعاً لجهدت أحشأؤهن » .

وكانت سكينه - رضى الله عنها - على جانب وافر من الللال الطيبة فوق ما امتازت به من كريم المحمّد ، ودماثة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد :

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة . فأحبّها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة وسماحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكنتزة اللحم ، على قسط وفير من العلم والأدب ، والمعرفة بالشعر ، ممّا دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها قائلاً له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معشيتك ، فطلّقها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرَمٍ تَطَلَّقُ

لَهَا خُلُقٌ سَخِجٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدُقٌ

أَعَاتِكُ ، لَا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَحَاقَ قَرِيئُ الْحَمَامِ الْمَطْوُوقُ

أَعَانِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ
أَعَانِكَ ، قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْنِي النُّفُوسَ مَعْلَقٌ
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ وَطَاعَتُهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ
فَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ شَعْرَهُ فَأَمَرَهُ فَرَاغَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ شَهِيداً ، أَصَابَهُ سَهْمٌ
فِي حِصَارِ الطَّائِفِ فَانْتَقَضَ بِهِ جَرْحُهُ فَمَاتَ ، فَقَالَ لِعَاتِكَةَ حِينَ احْتَضَرَتْ : لَكَ حَدِيقَةٌ مِنْ مَالِي
وَلَا تَتَزَوَّجِي . فَقَبِلَتْ ذَلِكَ . وَقَالَ حِينَ رَاجَعَهَا :

أَعَانِكَ ، قَدْ طَلَقْتَ عَنِّي بُغْصَةً وَرَاجَعْتَ لِلأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَاحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَاكِينُ
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِراً وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنُ
أَعَانِكَ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً وَإِنَّكَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْكَ الْحَاسِنُ
وَإِنَّكَ مِمَّا زَيْنَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيْنَ اللَّهُ شَائِنُ
فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ أَلَّاهُ ، كَيْفَ يَصْبِرُ ابْنِي عَلَى سَبْعِ
كَيْمَاتٍ ^(١) فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَتْ عَاتِكَةُ تَرْثِيهِ :

فُجِئْتُ بِمُخِيرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصِيراً
فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكَّ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَغْبَرَا
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنُورَا
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَ وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرَا
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا

ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ خَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي
مَا لَا أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِيجِ . فَقَالَ : اسْتَغْفِرِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَتْهُ فَقَالَ
رُدِّي عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَزَوَّجِي . فَرَدَّتْ الْحَدِيقَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) یعنی بذلك جزاءه علی ما اکثر من الدنانیر « یوم یحیی علیها فی نار جهنم فتکوی بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما کثرتم لأنفسکم ... »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خدرها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فبكت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلكنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عمر قالت :
وفجّعتني فيروز لادرّ درّه بأبيض تالٍ للقران منيب
روؤفٍ على الأدنى غليظٍ على العدا أخی ثقة في النابات نجيب
متى ما يُقل لا يكذب القول فعمله سريع إلى الخيرات غير قطوب
وقالت :

عين جودي بمبرة ونحيب لا تملى على الإمام النجيب
فجّعتني المنون بالفراس المة دم يوم الهياج والتذيب^(١)
عصمة الناس والممين على الدهر ر وغيث المُنْتَابِ والمحروب
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقتهُ المنون كأس شعوب

فخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فتزوجها
الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أتنهاني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عَجِيزَتَهَا بيده . وكانت عظيمة
المعجزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إنا لله . وتركت الخروج ،
فقال لها الزُّبَيْرُ : مالك تركت الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسّد الناس أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نهته لوجدته لاطشاً رِعش الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمّد

ثم خطبها على بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إِنِّي أَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ ،
لم أَتَزَوَّجْ رَجُلًا إِلَّا قُتِلَ ، فَتَزَوَّجْهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجَتْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ ، فَقُتِلَ وَمِثْلَ بِهِ ،
فَقَالَتْ :

لَيْنُ تَقْتُلُوا أَوْ تَمَثَّلُوا بِمُحَمَّدٍ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْحَرِّ^(١)
فَتَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لَا تَتَمَنَّوْا النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ » فقال ابن له :
لَا تَدَّعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذْنَ دَعَلًا . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تقول : لَا تَدَّعُهُنَّ ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن ثعلبة عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى المسجد ، فشقَّ عليه ذلك وكره أن يمنحها . فأذن لها ، ثم انكمن لها في موضع مظلم من الطريق ، فلما مرَّت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فكرَّرت راجعة وسبقها الزُّبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه تُسَبِّحُ ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس ناسٌ ، وأمَّا اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس :

نقل الجرجاني في كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوَّج امرأةً حتى يسألها عن « ثمانية وأربعة وائين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهنَّ عن هذا قلن : أربعة عشر . .
فبينما هو في جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنةٌ صغيرةٌ له كأنها البدر لمته ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به يمثل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثل به تمثيلاً : إذا نكل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ قالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنان فنديا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجه إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثم إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نَحِيّاً من سمن ، ونَحِيّاً من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بعض المياه فنشر الحلة فلبسها ، ثم أتاها - وهي خلوف - فسألها عن أبيها وأُمّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرّب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاء كم نضب . فقدِم الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أما قولها ذهب يبعد قريباً ويقرّب بعيداً فإن أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأما قولها ذهبت تشقّ النفس نفسين فإن أمّها ذهبت تقابل نساء ، وأما قولها أخي يراعى الشمس فإن أخاها في سرح له يرعاه ، وأما قولها : إن سماء كم انشقت فإن البرد الذي بعثت به انشق ، وقولها : إن وعاء كم نضب فإن النحيتين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثم إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فمجز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لأدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثم قالت : اسقوه لبناً خائراً أى حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك فقال : سأليني عما شئت . فقالت : ممّ تختلج شفتاك ؟ فقال : لتقبلي إياك . قالت : فممّ يحتاج فخذاك ؟ فقال : لتوركي إياك . قالت : عليكم فشدّوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى حيّه وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ
والسنامُ واللّحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه
وقال : أين الضريب والريية ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال :
افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ شرطتُ عليك
فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سلى عمّا شئت . فأرسلت إليه : ممَّ تختلج شفتاك ؟
قال : لشرب الشعشعات . قالت : فممَّ يختلجُ كَشْحَاك ؟ قال : للبسى المحبّرات . قالت :
فممَّ يختلجُ نغذاك ؟ قال : لركوبى المطهّمات . قالت : هذا زوجى لعمرى فعليكم به ، واقتلوا
العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبّها حين رآها ، فأعجب بجمالها ، وسألها ، فكان
جوابها شافياً .
وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبة له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان :

كانت أمّ عقبة ، وهى امرأة من بنى يشكر - عند ابن عمّها لها يقال له : غسان ، ولما
شعر بدنو أجله أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن . بعدى والذى تضررين يا أمّ عقبة
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جمال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غربة
فقالت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجعلنّه آخر حظى منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أمّ عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرعا هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه
سوف أبكيك ما حييتُ بنوح ومراث أقولها أو بندبه

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو شر ، فارعى لى حقّ حُسن الوفاء
إننى قدر جوت أن تحفظى المهد د ، فكونى إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي^(١) :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه ،
وأبو حاتم عن أبى عُبيدة . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكمال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعنّ الله ، فتتحامها الرجال ، حتى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذى جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القِرَى وزادت فيه .
فلما كان اليوم الثانى بمثت بعض جواريتها متنكّرة فى زى سائلة ، تتعرض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كلّ واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رَحْل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عاينها فقالت : ليصف كلّ واحدٍ منكم نفسه فى شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلاً سألتِ بِنَى نَبهانَ ما حَسِى عند الطعانِ إذا ما احرَّتِ الحدقُ
وجاءت الخليل مُحَمَّراً بَوادرُها بالماء يسفح عن لَبَّاتِها العَلقُ

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ الغدقُ
هذا الثناء ، فإن ترَضَى فراضيةٌ أو تسخَطى فإلى من تعطفُ العنقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرمُ أحساباً وأشهرُ أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أما الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حَاجَتى فيمن قضاها
فما وطئُ الحصا مثل ابن سَعْدَى ولا لبس النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عُنْتُ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحى ماوية الخير حاتماً فتى لا يزال الدهر أكبر همّه
وإن تنكحى زيدا ففارس قومه . إذا الحربُ يوماً أقعدتْ كلَّ قائمٍ
وإن تنكحيني تنكحى غير فاجرٍ ولا جارفٍ جرفَ العشيرة هادمٍ
ولا مُتَقَى يوماً إذا الحربُ سَمَرَتْ بأنفسها تقسى كفعل الأشياءِ
وإن طارقُ الأضيافِ لآذَ برحله وجدت ابن سَعْدَى للقرى غير عاتمٍ^(١)
فأتى هُدًى أهدى لك الله فأقبلي فإننا كرام من رؤوس الأكارمِ
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنبُ والهَجْرُ وقد عَدَرْتَنى فى طلابكم العُدْرُ
أماوى إما مانعٌ فمُبِينٌ وإما عطاءٌ لا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصَّدْرُ
وقد علم الأقوامُ لو أنَّ حاتمًا أراد ثراء المال كان له وَفْرُ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهنّ شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمَرَضَى الخلاق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوَّجَتْكَ نفسى !

(١) أى : غير مبطىء .

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة :

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوَّج سحيم بن حفص - بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أَيَا طَلَحَ إِن كُنْتَ أُعْطِيتَنِي جُمَالِيَّةً تَسْتَغْفِرُ الضَّفَّارَا
فَاكُنْ تَعْمَكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مَرَارَا
أَبُوكَ الَّذِي يَبِيعُ الْمُصْطَفَى وَسَارَ مَعَ الْمَهْتَدَى حَيْثُ سَارَا

وقال أيضاً عن سحيم : صارمت عائشة زوجها ، وكان في خُلُقها زعارة ، وكان يلقى منها البلاء ، فقليل له : طَلَّقَهَا ، فقال :

وإِنَّ فِرَاقِي أَهْلَ بَيْتِ أَوْدُهُمْ لَهْمُ زُلْفَةٍ عِنْدِي لِإِحْدَى الْعِظَائِمِ
فَكَيْفَ بَصَفُوا الْعَيْشَ مِنْ بَعْدِ بَيْنِهِمْ وَسُخْطُهُمْ يَوْمًا . . . عَنِ الْأَنْفِ خَاطِمِي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إِنْ تَزَوَّجْتُهُ فَهُوَ عَلَى كَظْهِرِ أُمِّي . ثُمَّ سَأَلَتْ أَهْلَ
الْمَدِينَةِ فَقَالُوا : اعْتَقِي رَقَبَةً وَتَزَوَّجِيهِ . فَتَزَوَّجَهَا فَأَصْدَقَهَا خَمْسَ مِائَةِ أَلْفٍ ، وَأَهْدَى لَهَا خَمْسَ مِائَةِ
أَلْفٍ . فَقَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ بْنُ زَنِيمٍ :

تُعْطِي الْفَتَاةَ بِأَلْفٍ أَلْفَ كَامِلٍ وَتَبِيتِ سَادَاتِ الْجَنُودِ جِيَاعَا
لَوْ فِي أَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مُقَاتِلِي وَأَبْنُهُ مَا قَدْ أَرَى لَارْتَاعَا
فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إِنْ مَصْعَبًا قَدِمَ خَيْرُهُ .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كَانَ يَجَالِسُنَا أَيَّامَ الْفَتَنِ رَجُلٌ فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟
قَالَ : مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، خَطَبَهَا مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَتَزَوَّجَهَا فَأَحْبَبَهَا ، وَكَانَتْ
امْرَأَةً جَمِيلَةً فِي أُذُنِهَا عِظْمٌ ، وَفِي سَاقِهَا حُمُوشَةٌ ^(١) . وَقَالَ قَوْمٌ : فِي قَدَمِهَا عِظْمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

وروى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي مصعب ، فمضى وأنا معه حتى دخل منزله وبده في يدي ، فرفع سترًا فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهًا ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالعشي وهو جالس ، فأشار إليّ بيده وقال : رأيت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

ومازلتُ من ليلى لذن طرّشاربي إلى اليوم أخفي حبّها فأباين^(١)
وأحملُ في ليلى لقلبي ضغينةً وتحملُ في ليلى على الضغائنُ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوبًا . فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان يديها - وعندها نسوة - فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل حتى خذلها وركهاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنّا بك لتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكنتزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشرافها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة^(٢) :

حدثنا الزبير بن بكار ، عن مسلمة المخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقا بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالًا وتمامًا ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الرّكبان الذين يحملون الفاكة من الطائف عن الأخبار ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبرًا ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتًا وصياحًا عاليًا على امرأة من قريش نسيت اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها علية ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقعتة وهى تتشوف له فوجدها سليمة ومعها أختها : رضا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر فى ذلك هذا الشعر :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجُرَى لما جَهِدَتْهُ وَيَبِينُ لو يَسْطِيعُ أن يَتَكَلَّمَ
فَقَاتَ له : إن أَلَقَ للَمِينِ قَرَّةً فَهَانَ عَلَى أن تَكُلَّ وتَسَامَا
لذلك أدنى دون خلى رباطه وأوصى به ألا يهان ويكرما
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي لئن لم أفلِ قرناً إنِ اللهُ سَلَمَا

فقال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مَسْلَمَةَ : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحجُّ والثريا ومن بال خيف من أهلها وماتى الرَّحَالِ
ياسليمان إن تلاق الثريا تَلَقَّ عَيْشَ الخلود قَبْلَ الهلالِ
دُرَّةً من عقائل البحر بكر لم يشنها مُتَأَقِبٌ لِلآلِ
تعقد المئزر السَّخَامِ من الحرِّ على حِقْوِ بادنٍ مكسالِ

وحدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدثنى كُثَيْبُ بن كُثَيْبٍ السهمى قال : لما ماتت الثريا ، أتانى الغريض فقال لى : قل أبيات شعر أنح فيها على الثريا ؟ فقلت :

ألا ياعين مالِكٍ تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أم أنت حزينه تبكيين شجواً فشجوك مثله أبكى العيونا !

أبو الأسود الدؤلى وامرأته وابنهما :

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلى وامرأته فى ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كلّ أخذه ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابنى ، كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثدى سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واستوكت أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذ منى كرها ، فأنصفتى فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعتُه قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى تقويم أوده ، وأمنحه علمى ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل نبّله .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله . حملة خفّا ، وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ، ووضعتُه كرها .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدَها فهى أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجِّعِكَ .

* * *

المجرد والمرأة التى تبعها :

قال ابن وهب : تبعْتُ جارية إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتنى نبيذاً وغنت على عودها بصوتٍ ما سمعت أعذب منه ، ولا أنفَذَ إلى القلب :

كَأَنِّى بِالْمَجْرَدِ قَدْ عَلْتُهُ . . . نَعَالُ الْقَوْمِ أَوْ خُشْبُ السَّوَارِى
فقلت لها : جُعِلْتُ فداءك ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه ممّا يُفَنِّى به . قالت : أنا أولُ من تفنّى به ، وإنما هو بيتٌ لا يدرى قائله ومعه بيتٌ آخر .

قالت : سُرِّينِي بَأَنْ تُغْنِيَنِي لَعَلِّي أَنفَهُمْ . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتغنَى به .
قال : وجعلتُ لَأَنَازِعُهَا شَيْئًا إِجْلَالًا لَهَا وَإِعْظَامًا ، فلما أَمْسَيْنَا وجاءت العشاء الأخيرة ،
وضعتُ عودَهَا ، فقمْتُ فَصَلَّيْتُ وما أدري كم صَلَّيْتُ بِحُجَّةٍ وَتَشَوُّفًا . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تَأْذِنِينَ لِي جُعَلْتُ فِدَاءُكَ فِي الدُّنُوِّ مِنْكَ ؟

قالت : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ مُنَّا . ثمّ ذهبت كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدت أن أشقَّ ثيابي من العجالة للخروج منها ، ولما قت بين يديها متجرّدًا . قالت :
انتّه إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلًا ومدبرًا . قال : وبينما أنا في طريقى إلى الزاوية ، أردت
اجتياز حَصِيرٍ فِي الْغُرْفَةِ ، فماكدت أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بى فى خَرَقٍ تحته ، وإذا أنا
فى السّوق مجرّدًا ، وإذا شيخان هناك قد كُنا فى ناحية ، وأعدّا نعالهما . فلَمَّا هبطت عليهما
بادرانى فَقَطَّمَا نَعَالَهُمَا عَلَى قَفَايَ ، وجاء أهلُ السّوق ، فشاركوهم فى ضربى حتّى أنسيتُ اسمى
وبينما أنا أُخْبِطُ بنعالٍ مَخْصُوفَةٍ ، وأَيْدِيَّ ثِقَالٍ ، وَخُشْبٍ دِقَاقٍ ، إذا صوتٌ من فوق البيت
يَفْتَنى :

كأنى بالمجرّد قد علته نعالُ القوم أو خُشْبُ السّوارى
ولو عِلَمَ المجرّد ما أردنا لبادرنا المجرّد فى الصحارى

الشعراء العشاق

جميل بثينة^(١) :

إنَّه لَمَعْلُومٌ أَنَّ بُثَيْنَةَ حُبُوبَةُ جَمِيلٍ قَائِدِ الشَّعْرِ ، وَقَدْ نَسَبَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِنِسَاءٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَاشْتَهَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَنْ تَفَزَّلَ بِهَا ، فَاشْتَهَرَ جَمِيلٌ بِبُثَيْنَةَ ، وَاشْتَهَرَ كَثِيرٌ بِعُرَّةَ ، وَعُرُوةُ ابْنِ حِزَامٍ بِمَعْرَاءَ ، وَقَيْسُ مَجْنُونُ بْنُ عَامِرٍ بِلَيْلى ، وَقَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ بِلَبْنَى ، وَالْمَرْقَشُ بِفَاطِمَةَ ، وَذُو الرِّمَّةِ بِمَيَّةَ وَهِيَ الْخُرْقَاءُ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ بِفَوْزٍ .

وبعض الشعراء لا يلتزم التنزُّلَ بامرأة مخصوصة كما مرى القيس .
وَبُثَيْنَةُ مُصَغَّرٌ . بُثْنَةُ - قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ : الْبُثْنَةُ - بِالتَّسْكِينِ : الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ ، وَبِتَصْغِيرِهَا سَمَّيْتُ : بُثَيْنَةَ .

أَمَّا قِصَّةُ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَذْرَى ، فَقَدْ رَوَى صَاحِبُ « الْأَغَانِي » بِسَنَدِهِ ، قَالَ :
اجْتَمَعَ جَمِيلٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ رَهْطِهِ يَتَحَدَّثُونَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا اللَّهُ حَدَّثْنَا بِأَعْجَبِ يَوْمٍ لَكَ مَعَ بُثَيْنَةَ . قَالَ : نَعَمْ . مُنِعْتُ مِنْ لِقَائِي مَدَّةً ، وَتَعَرَّضْتُ لَهَا جَهْدِي فَلَمْ أَصِلْ إِلَيْهَا ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ جَالِسٌ بَيْنَ شَجَرَاتٍ بِالْقَرْبِ مِنْ حَيْهَا ، وَقَدْ أَقْبَتُ ثَلَاثًا أُنْتَظَرُهَا ، إِذَا شَخْصٌ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ ، فَجَلَسْتُ وَانْتَضَيْتُ سَيْفِي ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ غَشِيَنِي الشَّخْصُ ، فَإِذَا هِيَ بِبُثَيْنَةَ قَدْ أَكْبَتَتْ عَلَيَّ . فَأَدْهَشَنِي ذَلِكَ ، وَبَقِيتُ مَتَحِيرًا لَا أَحِيرُ جَوَابًا إِلَيْهَا ، وَلَا أَرَا جَمْعًا كَلِمَةً حَتَّى بَرَقَ الصَّبْحُ ، وَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكَلِّمَهَا .

قالوا : فهل قلت في ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قصيدة طويلة ..

وهذه أبيات من أولها :

أَهَاجَكَ أَمْ لَا بِالتَّنَاضُبِ مَرَبْعُ وَرَسْمٌ بِأَحْرَاجِ النَّدِيرَيْنِ ، بَلْقَعُ

ديارُ لليلي^(١) . . إذ نَحُلُّ بها ممّا
 فياربَ حَبْنِي إليها ، وأعطني الـ
 وإلا . . فصَبَّرَنِي وإن كنتَ كارهاً
 فإن يَكْ قد شطتْ نواها وقد نأت
 جزعتُ غداةَ البين لما تَحَمَّلُوا
 وما كان مثلي يا بَيْثِنَةُ يَجْزَعُ
 تَمَتَّتْ منها يومَ بانُوا بنظرةٍ
 وهل عاشقٌ من نظرةٍ يَتَمَتَّعُ؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جيلاً طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بَيْثِنَةَ خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلاً ، وأخبرها بحاله بعدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هما عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدّ عليهما ، فاتقياه بالهرب . وناشدته بَيْثِنَةُ بالانصراف وقالت : إن أقت فضحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات الستة :

بمختلف الأرواح بين سُوَيْقَةٍ^(٢) وأحْدَبٍ^(٣) كادت بعد عهدك تخلق^(٤)
 أضرت بها النكباء^(٥) كل عَشِيَّةٍ ونفح الصبا^(٦) والوايل^(٧) المتبعق^(٨)
 وقفت بها حتى تحلّت عَمَائَتِي^(٩) وملّ الوقوف الأرحى^(١٠) النوق^(١١)

(١) لا يخفى أن جيلاً ينسب ببَيْثِنَةُ . ولأنما ذكرها باسم ليلي جرياً على عادة الشعراء في إخفاء أسماء معشوقاتهم أحياناً .

(٢) سُوَيْقَةٍ وأحْدَب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) نفح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوايل : المطر العظيم . (٧) المتبعق : المطر العظيم .

(٨) عَمَائَتِي : بفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرحى : الجبل النجيب منسوب

إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل لخل ، وقيل لموضع . (١٠) النوق : المذلل كالناقة .

وقال خليل : إِنَّ ذَا لَصَبَابَةٍ أَلَا تَرَجُرُ الْقَلْبَ اللُّجُوجَ فَيَلْحَقُ
تَعَزُّزٌ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةٌ لَمَلَّكَ مِنْ أَسْبَابِ (١) بَنَّةٍ تُعْتَقُ
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْبُعَادَ يَشُوقُنِي وَبَعْضُ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّائِي أَشْوَقُ

كثير عزة :

من «بلاغات النساء» (٢) ماحدثني الزبير بن بكار ، قال : حدثني سليمان بن عباس السَّعْدِيُّ قَالَ : كان كثير بن عبد الرحمن يلقى من يحج من قریش في كل سنة بهديَّة ، ففعل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلِّبَة جَمَلًا ، واستقبل الشَّمْسُ في يوم صائف ، فلم يأت قديداً حتَّى احترق وضجَّ وجاء وقد راح النَّاسُ ، إلا فتى من قریش تخلف ومعه راحلةٌ له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فَإِنِّي لَجَالِسٌ إِذَا قَبِلَ كَثِيرٌ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي وَلَمْ يُسَلِّمْ . ثم جاءت امرأة جميلةٌ وسيمَةٌ ، فاستندت إلى خِيَمَةٍ من خيام قديد ؛ ثمَّ قالت له : أنت كثير بن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلُلَنَّ مَجْلِسِي وَأَعْرِضَنَّ عَنِّي هَيْبَةً لَا تَجْهَمَا

قال : نعم . فتأمَّلت وجهه مبتسمة وقالت : اعلى مثل هذا الوجه هيبة ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال لها : كثير : من أنت ؟ واحتدَّتْ عليها وهي ساكتة . ثمَّ قال لها : لو أعلم من أنت لَقَطَعْتُكَ وَقَطَعْتُ قَوْمَكَ هَجَاءً . فلما سَكَنَ ، قالت له : أأنت الذي تقول :

مَتَى تَنْشُرُوا عَنِّي الْعَامَةَ تُبْصِرُوا جَمِيلَ الْحَيَا أَغْفَاتُهُ الدَّوَاهُنُ ؟

أنت جميل الحيا ؟ ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين :

(١) وقوله : لعلك من أسباب بنَّة . روى بدله : لعلك من رق لبنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجر كثير ، وسكت عنه حتى سكن . ثم قالت : أنت الذى يقول :
 يروق العيون الناظرات كأنه هرقلى وزنٍ أحمر التبرِ وازنُ
 أهذا الوجه يروق العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد خجراً وقال : قد أعلم من أنت ، ولأقطعنك وقومك ، وقام . فالتفت فإذا هى قد ذهبت .
 قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديد ، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك على إن أخبرتنى من هى أن أطوى لك ثوبي هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هى . هذا كثير -
 وهو مولاى - قد أبيت أن أخبره من هى .
 قال القرشى : فرحت وبى أشد مما بكثير !

عمر بن أبي ربيعة :

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وعشقاً لمحاسنهن ، والتشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

فلمّا تقضى الليلُ إلّا أقله	وكادت توالى نجمه تتفوّر
أشارت بأن الحى قد حان منهم	هبوب ولكن موعد لك عزور
فلما رأت من قد تنبه منهم	وأيقاظهم قالت : أثير كيف تأمر ؟
فقات : أباديهم فإمّا أفوسهم	وإمّا ينال السيف ثأراً فيثأر
فقالت : أتحقيقاً لما قال كاشح	علينا ، وتصديقا لما كان يؤثّر
فإن كان مالا بُدّ منه فغيره	من الأمر أدنى للخفاء وأستر
أقص على أختي بدء حديثها	ومالى من أن تعلم متأخراً

(١) فى خزانة الأدب ج ٣ .

لَعَلَّهُمَا أَنْ تَبْنِيَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْحِبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعَيْنَا عَلَى فَتَى أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ
فَأَقْبَلْنَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْبَلِي عَلَيْكِ الْوَمَّ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
يَقُومُ فِيمَشَى بَيْنَنَا مَتَنَكِرًا فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَكَانَ مَجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَقَى ثَلَاثُ شَخْصٍ : كَاعْبَانٍ وَمَعَصَرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل :

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذْنُ أَصْحَابِي غَدَاً يَقُولِ
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتَكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُهُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَغَشَّتَكَ عَبْرَةٌ تَعْلَبُ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نَهُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَلُّ خَلِيلِ
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَا ، وَأَوْشَكُهُ قَلَى وَإِنْ سُئِلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُوْحْتُ عَنْهُمْ بَلِيلَى ، وَلَا أُرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلِ
فَلَا تَعْجَلِي يَا لَيْلَى أَنْ تَفْهَمِي بِنُصْحِ آتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ
فَإِنْ تَبَدَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوْدَةً فَقَدِمًا تَخَذْتُ الْفَرَضَ عِنْدَ بَدُولِ
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْنِي نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِ قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليلي بالملول ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديهم وصاله
ولم أرَ من كَيْلَى نوالاً أعدّه
يلومك في كَيْلَى وعقلك عندها
يقولون : ودّع عنك كَيْلَى ولاتهم
فما انتفعت نفسي بما أمروا به
وقالوا : نأت فاختر من الصبر والبكا
توليت محزوناً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم
وما زلت من كَيْلَى لدُنْ طرّاً شاربى

إذا غِبتُ عنه باعنى بخليل
ويحفظُ سرّى عند كلّ دخیل
ألا ربّما طالبت غير منیل
رجالٌ ، ولم تذهب لهم بعقول
بقاطمة الأقران ذات خليل
ولا عُجّت من أقوالهم بفَتيل
فقلت : البكا أشقى إذن لنليل
أقاتلتى كَيْلَى بنير قَتيل ؟ !
ومالَ بنا الواشون كلّ ممیل
إلى اليوم كالمَقَصَى بكلّ سیل

حب امرئ القيس :

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بنحصب أرضها - جبل يقال له : ضارج . . .
وهو جبل معروف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى « العرمض » ويعلو الماء فيه مكان مرتفع
يقال له « طامى » ويقال له أيضاً : ثورُ الماء ، لتفجّر ثورانه من بين صخور وأحجار .
وقد ذكر البكرى أنّ ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم -
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك الجبل الذى
يقع عليه الظلّ وارقاً جميلاً من نبات العرمض ، بخضرتة اليانعة ورائحته الطيبة . . . ذكر
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأْتُ أنّ الشريعة هُمها وأنّ البياض من قرائضها دامى
تيممت العين^(١) التى عند « ضارج » يقف على الظلّ عرْمُضُها طامى^(٢)
وإنّه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التى أبدع الله صنعها .

(١) إشارة إلى الماء . (٢) الطامى : المرتفع الذى يعلو نباته الماء .

ذو الرمة ومية :

اشتهر ذو الرمة بحب خرقاء ، ولُقبت : مية . ومما يؤثر عنه أنه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلقُ حبال الوسائل
وأهله ودِّ فد تبرّيتُ ودّهم وأبليتُهم في الحمد جَهدي ونائلي

توبة وليلى الأخيلية :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد البرد . قال ثبتت الروايات والأخبار أن « ليلي الأخيلية^(١) » لم تكن امرأة
توبة بن الحمير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شاك ، إلا أنهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهماً ، وتلك هي السنّة في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنه كان يطلبه بنو عوف - فأحسوا قدومه من سفره ، فأنوه طروقاً ،
وبينه وبين الحىّ مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعاً قابضاً والمرهفات تنوشه فقَبَحْتَ مدعواً ، ولُبَّيت داعياً
فياليتَ عبد الله حلّ مكانه فأودى ، ولم أسمع لتوبة ناعياً

ومن جيد ما تَرثيه به قولها :

فأقسمت ، أبكى بعد توبة هالكاً وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المغايرُ
فلا الحىّ ممّا يُحدث الدهر سالمٌ ولا الميتُ إن لم يصبر الحىّ ناشرُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بلى وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبعدنك اللهُ توبةَ هالكٍ أها الحرب إذ دارت عليه الدوائرُ
وأقسمت لا أنفك أبكيك مادعتُ على غصن ورقاه أو طار طائرُ
قتيلُ بني عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضرر « لا » فى القسم مع المعنى - لأنَّ الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « قاله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فنشروا - أى . أحياهم فحيوا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها عاشَ ولمْ ينقل إلى القابرِ
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجباً للميت النّاسرِ

ومن أغرب ما رُوِيَ فى (الصّدَى) ما رواه أبو على من أن لَيْلَى الأَخيلية مرّت مع زوجها فى بعض نجعهم بالموضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يحجب صدها كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلي الأَخيلية سلّمتُ على ، ودونى جندلُ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة . . أو زقا إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ

فقال له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك فى يوم قانظٍ ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلّ بحجارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، فنفرت راحتها ووقعت ، فماتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالنطق . كما يروى أن أحد المولعين بالخمر قال :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تُرَوِّى عِظَامِي فِي الْمَتِّ عَرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ إِلَّا أَذُوقَهَا
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذاكرٌ له فإذا هو عليه عرش ،
فتعجب من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريته :

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال :
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعله ، فأكثرته له من
الدواء . فقال : خفّض عليك أبا العباس ، فليس ذلك لعله ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حلف الظريف بقطعه يدهُ إن مسَّ من يهواه بالألم
حتّى إذا ضاق الفضاء بهِ جعل الفصاد تحلّة القسم
قلت : حسن أيها الأمير . فاسيبه ؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب
فألّمت لما نالها من الألم ، فخلعت بقطع يدي ، فأقنيت بالفصد ، فعات . وأنشدنا الأَخفش
لأبي نواس :

ما بال قلبك لا يقرُّ خُفوقاً وأراك ترعى النّجمَ والعُيوقاً
وجفون عينك قد نثرن من البكا فوق المدامع لؤلؤاً وعقيقاً
لو لم يكن إنسان عينك سابحاً في بحر دمعته لمت غريقاً

بحر هوى ليس له شطّ :

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :

دخل بمض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكيّ ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ، وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعبت بها فأنشأ يقول :

خنساء خنساء وحتى متى يرتفعُ الناسُ وتنحطُ
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأننى من دقتى خيطُ
فقلت خنساء :

وكيفَ منجأى وقد حلّ بى بحرُ هوى ليس له شطّ
يدركك الوصلُ فتنجؤ به أوقع الهجر فتنحطّ

حب زينب بنت إسحاق النصراني :

من فوائد الرضى الشاطبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيان في الحبّ قال : وهو من غريب ما أنشدنا الإمام اللغويّ رضى الدّين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصارى الشاطبيّ لزَيْنَب بنت إسحاق النصرانيّ :

عديّ وتيمّ لا أحولُ ذكرهم بسوء ولكنى حبّ لها شم
وما يعترينى فى علىّ ورهطه إذا ذكروا فى الله لومة لائم
يقولون : ما بال أنصارى تحبهم وأهل النّهى من أعرب وأعجم
فقلت لهم : إننى لأحسبُ حبهم سرى فى قلوب الخلق حتى البهائم

التائب من الحب :

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوك مليح الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فخلوت به يوماً ، وداعبته بمبارات تنبي عن شدة شغفى به ، فقال لى : حذار أن تعود لمثل هذا الكلام ، فلجذران آذان ، ورب عثرة لسان ، أودت بإنسان . . . ولكن إذا لم تستطع الكتمان ، فاكتب لى ما تحب أن تقوله فى ورقة فتكون فى أمان واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منى ، وكتبت فى ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ الْوَرَى صِلْ هَائِماً قَدْ ظَلَّ فِيكَ مُحَجَّرًا
وَأْمُنْ عَلَى بَسَاعَةٍ فِي خَلْوَةٍ إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْهَوَى أَنْ تُوجِرَا
وكتبت تحت البيتين كلاماً كثيراً فى هذا المعنى ، ثم دفعت إليه الورقة خلسة .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إلى فى غيرها : إِنْكَ لَتَمْلِكُ أَنْتَى مِنْ بَيْتِ عَرِيقٍ
فِي التَّقْوَى . وسأبقى عندى خطك شاهداً على ما فرط منك ، وَلَكِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأُطْلَعَنَّ
عليها أبى وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .

أمّا إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .
فلما وقفت على خطه ، علمت قدر ما وقعت فيه ، وجعلت أُرْغَبُ إليه فى أن يرُدَّ الرُّقْمَةَ
إلى ، فأبى وقال :

هى عندى رهن على وفائك بآلا ترجع إلى التكلم فى ذاك الشأن .
ولم يسعنى إلا أن امتثلت ، لأنى رأيت صيانتي وناموسى فى يده ، وتبت عن مثل هذه
المداعبات .

(١) فى نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

الحب والجمال

حب امتداح النساء :

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمّل في طياتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحدٍ ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين ، فن وسائط قلائده :

مضت الشبية والحبيبة فالتقى
دمعان في الأجنان يزدهمان
ما أنصفتني الحادثات رميني
بمودة عين ، وليس لي قلبان
وقوله من أخرى :

قلت للعين حين شامت جمالاً
من بروق كواذب الإيعاض
لا يغرنك هذه الأوجه العثر
فيارب حية في رياض
وقوله من أخرى أيضاً :

خليلي عهدى بالليالي صوافياً
فما بالها أبدلن جيأً بصادها ؟
ولا تحسباً عيشني على فإنني
أورخ يوم الموت يوم افتقادها
ولست أحب الضوء إلا لوجهها
ولا البدر إلا طالماً من بلادها
ولو أنني أنصفتها ورعيتها
لسار فؤادي في طريق فؤادها
خليلي هل أبصرتما مثل أدمعي
نفدت وحق الله قبل تقادها

وقال بعض الحكماء : ما آنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأحران ،
ولا أعان على الزمان ، مثل البيض العوان .

وفي كتاب مُسَلِّمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثقفى عن أبي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قال : سئل النبي - صَلَّى الله عليه وسلم : أىُّ النساءِ خيرٌ ؟ فقال : التى تسرُّه إذا نَظَرَ ، ولا تَمُصِّيه إذا أَمَرَ ، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفي « الشهاب » : « النَّظَرُ إِلَى المرأةِ الحسناءِ يَزِيدُ فى البصرِ » والله درُّ أبى نواس إذ يقول :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

وقال شاعر آخر :

وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

وقال غيره :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

أعرابي يصف امرأة :

قال العُمَيْيُّ^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَمْدَةٌ ، لا يمسُّ الثوبُ منها إِلَّا مُشَاشَةً كَتَفَيْهَا ، وَحَلَمَةً نَدِيهَا ، وَرَضْفَى رَكَبَتَيْهَا ، وَجَانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وَأَنشَد :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالنَّدَى لَقَمَصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
وَإِذَا الرِّيَاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً ، وَهَجَنَ غَيُورًا

وقال آخرُ : لَيْتَ فَلَانَةٌ حَظَّتْ مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ سَرَّتْهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبَضَ اللَّيْلُ بَصْرِي دُونَهَا ، وَإِنْ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي الظَّمَاءَ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسُ باهت بها الأرضُ شمسَ سَمَائِهَا ، وليس لي شفيعٌ في اقتضاءها ، وإن نفسى لكتومٌ لِدَائِهَا ، ولكنها تفيض عند امتلائها . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسُ أرضِهَا التي تَمَّ نورُهَا فباهت بها الأرضون شمسَ سَمَائِهَا
شكوتُ وما الشكوى لمِثْلِي عادةً ولكن تَفِيضُ النفسُ عند امتلائِهَا

وقيل لأعرابي : ما بالُ الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحبُّ في القلب ، فانتقل إلى المَعِدَةِ ، إن أَطْعَمْتَهُ شيئاً أَحَبَّهَا ، وإلا فلا . كان الرَّجُلُ إذا أَحَبَّ امرأةً ، ظلَّ حَوْلًا يطوفُ بِدَارِهَا ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفرَ منها بِمَجْلِسٍ تَشَاكِيًا وتناشدا الأشعارَ ، وإنه اليومَ يَشِيرُ إليها وتشير إليه ، وَيَعِدُّهَا وَيَعِدُّهُ ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبًّا ولم يُنْشِدا شِعْرًا .

وقال أعرابي يشكو لوعةَ الحبِّ وَكِتْمَانَهُ وصبرَهُ على من يُحِبُّهُ ولا يطيق سُلوَانَهُ :
شكوتُ فقالت : كلُّ هذا تبرِّمًا بِحُبِّي ، أراحَ الله قلبك من حُبِّي
فلما كتمتُ الحبَّ قلتُ : لشدَّ ما صَبَرْتُ ، وما هذا بفعل شَجَى القلبِ
وأدنو فتقصيني فأبعدُ طالبًا رضاها ، فتعتدُّ التَّبَاعِدَ من ذَنبِي
فشكواي تُؤْذِيهَا ، وصبري يَسُوءُهَا وتجزعُ من بُعْدِي ، وتنفرُ من قُرْبِي
فيا قومُ هل مِنْ حيلةٍ تَعْمَلُونَهَا ؟ أَشِيرُ وَأَبْهَأُ ، وَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّي

الوصف بعد المشاهدة^(١) :

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع السكِّم في نظم الشعر ، واتخذ لنفسه طرائق سهلةً ، غاية في البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسَّ به ، واستساغهُ ، ويكسوه من رقة المعاني أسلوباً جميلاً يقرُّبُهُ إلى الفهم ، حتى يتذوق أنعامه المستمعُ شراباً

(١) في خاص الخامس للثعالبي .

عذباً سلسيلاً ، ويملاً به المحزون صدره نسيماً صافياً عليلاً ، ومن بدائع طرفه قوله :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه

الورد : قد أينع فى وجنتي قلت : فمى بالثمر يجنيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك

لا تجفقه وارع له حقه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصد الحبيب :

يألت عيني تحملت ألمك وليت نفسى تقسمت سقمك

وليت كف الطيب إذ فصدت عرفك أجرت من ناظري دمك

أعرتة صبغ وجنتيك كما تعبته إن لثمت من لثمك

طرفك أمضى من حد مبضعه فالحظ به العرق واغتيم ألمك

وقوله من قصيدة أولها :

من أين للعارض السارى تلعبه وكيف طبقت وجه الأرض صيده

هل استمان جفوني فى تنجده أم استعار فؤادى فهو يلهمه

ومنها :

بجانب الكرم من بداد لي قمر لولا التجميل ما أنفك أندبه

وصاحب ما صحبت الدهر مذ بعدت دياره ، وأراني لست أصحبه

فى كل يوم لعيني ما يؤرقها من ذكره ولقلي ما يعذبها

وما البعاد دهاني ، بل خلاقه ولا الفراق شجاني ، بل تجبها

وله أيضاً :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق

إذا لم يكن فى الأرض حر يعيننى ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

أَسْنَانُ النِّسَاءِ (١) :

قال أبو الحسن الأخفش : من أَحْسَنَ ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعراً ضعيفاً ، قولُ ضَمْرَةَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تَلْقَ بِنْتَ « الْعَشْرِ » قَدْ نَصَّ نَدِيَهَا
تَجِدُ لَدَهُ مِنْهَا خَلْفَةَ رُوحِهَا
وصاحبة « العشرين » : لا شيء مثلها
وبنت « الثلاثين » : الشَّفاء حَدِيثُهَا
وإن تلقى بنت « الأربعين » فغَبِطَةٌ
وصاحبة « الخمسين » : فيها بَقِيَّةٌ
وصاحبة « الستين » لا خَيْرَ عِنْدَهَا
وصاحبة « السبعين » إنْ تُلَفِ مُعْرَسًا
وذات « الثمانين » الَّتِي قَدْ تَجَلَّلَتْ
وصاحبة « التسعين » يَرَعَشُ رَأْسُهَا
وَمَنْ طَالَعَ الْآخِرَى ، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ

كُلُّ لُؤْلُؤَةِ الْفَوَاصِ يَهْتَرُ جِيدُهَا
وَعُرِّيَّهَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدُ يَزِيدُهَا
فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُوُ بِهَا وَتُرِيدُهَا
هِيَ الْعَيْشُ مَا رَقَّتْ وَلَا دَقَّ عَوْدُهَا
وَحَيْرُ النِّسَاءِ : أَوْدُهَا وَوَلُودُهَا
مَنْ الْحُسْنِ وَاللَّذَاتِ ، صُلْبُ عَمُودُهَا
وَفِيهَا ضِيَاعٌ ، لَا حَرِيصَ يُرِيدُهَا
عَلَيْهَا فَتَلْكُمُ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا
مَنْ الْكِبَرِ الْفَانِي وَقَدْ وَرِيدُهَا
وَبِاللَّيْلِ مِقْلَاقٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا
وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا عَبِيدُهَا

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ (٢) :

عُرف الشيخ سعيد السَّمانُ الدمشقي ، بحبِّ الجمال ، وشغف بتصوير ما يعشقُ تصويراً حساساً ، ومن قوله مضمناً مصراعه الأخير :

يَارُبَّ ظَنِّي كَالِدَامِ حَدِيثُهُ
قَدْ خَلَتْهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا تُحْ فَكَأَنَّهَا
هِيَ دَارَةُ وَالْبَدْرُ فِيهَا يَلْعَبُ

فَيُسَيِّغُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
مَرَاةً حُسْنُ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ
مَرَاةً حُسْنُ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ

وقال العالم أحمد المتيني ، مضمناً نفس البصرع :

عَاتَبَتْهُ وَكَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِهِ رَاخٌ تَكَادِلُهَا اللَّوَاظُ تَشْرَبُ
بِالْعَقْلِ وَالشُّطْرَانِجِ يَلْعَبُ وَهُوَ قُسطَاطٌ حُسْنٌ لِلْمَسْرَةِ يَجِبُ
يَحْكِي الزَّمَرْدُ خَضِرَةً فَكَأَنَّمَا هِيَ دَارَةٌ وَالدَّرُّ فِيهَا يَلْعَبُ

المرأة والطيب^(١) :

يَحْمِلُنَ أَرْجَةَ نَضْحُ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
الْأَرْجَةُ هُنَا : كُنَايَةُ عَنْ الْمَرْأَةِ شَبَّهَهَا بِهَا فِي طِيبِ رَاحَتِهَا ، وَمَا فِي لَوْنِهَا مِنَ الصُّفْرِ
وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَكْرَهُ بَيَاضَ اللَّوْنِ الْمَفْرَطِ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَمَيِّيُونَ قَوْلَ الْأَعَشَى :
وَمِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ رُغْبُوبَةٌ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنِ
وَكَانُوا يَسْتَحْسِنُونَ قَوْلَ ذِي الرِّمَةِ :
صَفْرَاهُ فِي نَعَجٍ بَيْضَاءٍ فِي دَعَجٍ كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

تنف الوجه بالخييط^(٢) :

قال الناظمُ : لما استقرَّ بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفعنا الحنين إلى ما يُحْمَدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :

فلما مضى شهرٌ وعَشْرٌ لَمِيرَهَا وَقَالُوا : يَجِيءُ الْآنَ قَدْ حَانَ حِينُهَا
أَمَرْتُ مِنَ السَّكَنَانِ خَيْطًا وَأَرْسَلْتُ جَرِيًّا إِلَى أُخْرَى قَرِيبًا تُعِينُهَا

هذه امرأة تنتظر عيراً تَقْدُمُ وزوجها فيها ، فأرادت أن تنف وجهها بالخييط وتَهَيِّأَ له .
والجَرِيُّ : الرَّسُولُ . يقول : أرسلته إلى جارة لها تستعين بها في تنف وجهها بالخييط للترئين .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخييط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في البنى ،

(٢) في أمالي القالي ج ١ ص ١٩٨ .

(١) في الانضاب ص ٣٨٢ .

فقال :

فإزال يَجْرِي السَّلْكُ في حرٍّ وَجْهَهَا وَجْهَهَا حَتَّى ثَنَّتَهُ قُرُونُهَا
ثَنَّتَهُ : كَفَّتَهُ . وقرونها : ذوائبها . ومنه قول مجنون لَيْلَى لزوجها :
بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ قَاها ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ فِي شَذَاها

تشبيه المرأة ببدر السماء :

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
قوله : كأنها بدر السماء ، في موضع الحال للمرأة أى : بَدَتْ مشبهة البدر ، وإذا تبدَّى
ظرفٌ لما دلَّ عليه كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الفعل . أى : بَرَزَتْ هذه المرأة كاشفةً عن وَجْهها ،
كأنها قد أُرْسِلَتْ تَقَابَهَا . ودلَّ على هذا بقوله : كأنها بدرُ السماء إذا تبدَّى . وإنما فعلت ذلك
إِمَّا لِلتَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السُّبَاءُ ، أو لما تَدَاخَلها من الرعب . ومثله قول الشاعر :
وَنِسَوْتَكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حَرَارُ

لقاء فتى جميل الوجه فى الجنة :

ذكر البرد عن أبى كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعى قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التعمد والاجتهاد . فنزل فى جوار قوم من النخع ،
فنظر إلى جارية منهم جميلة ، فهوئها وهام بها عقله . ونزل بالجارية ما نزل به ، فأرسل يخطبها
من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مستاة لابن عمِّ لها . فلمَّا اشتدَّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى ،
أرسلت إليه الجارية ، قد بلغت شدة محبتك لى ، وقد اشتدَّ بلائى بك ، فإن شئت زرتك ،
وإن شئت سهلتُ لك أن تأتى إلى منزلى . فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين الخلتين
« إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » أخاف ناراً لا يخبو سعيها ، ولا يحمد لهيها .

فلما أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه ليشتركون . ثم انخلت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبّد . وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبّاً للفتى وشوقاً إليه حتّى ماتت من ذلك . فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ، ويدعو لها . فنلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نِعْمَ الْحَبَّةُ يَا سُوْلِي عَجَبْتُكُمْ حَبٌّ يَقُوْدُ إِلَى خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ
فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إِلَى نَعِيْمٍ وَعَيْشٍ لَا زَوَالَ لَهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مُلْكٌ أَيْسَرُ بِالْفَأْنِي

فقال لها : اذكريني هناك ، فأبّى لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا . فلم يمش الفتى بعد الرؤيا إلّا سبع ليال حتّى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسمّى القسّ من عبادته . فرّ يوماً بجارية تغنى ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبّى . فقال له : فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثمّ أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبّك ، فقال : وأنا والله أحبّ ذلك . قالت : فما يمنحك ؟ فإنّ الموضع خال ! قال لها : ويحك ، إنّي سمعت الله يقول : « الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثمّ نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبا !

تسكنى المرأة بالشاة أو البيضة^(١) :

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عُلَيَّة ، وكان قد بلغه أنها تُعَجَّب بسلام نه اسمه « رَسَا » فأبعده ، وقيل قَتَلَهُ . ثمَّ إنَّها علقت من بعده غلاماً آخر اسمه « طَلَّ » فكانت تكثُرُ من ذكرها له . فقال لها الرشيدُ : والله لئن ذكرتِه لَأَقْتُلَنَّكَ ، فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » . فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثُمَّ أَمْسَكَتْ حَتَّى لَا تَذْكُرَ اسْمَ (طَلَّ) وأكلت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فإذنى نهى عنه أمير المؤمنين . فابتسم الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أُخَيَّة » .

وقيل إنَّه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :
أَيَا سَرَّحَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشْوُقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
فانظر كيف وَرَّتْ « يَظِلُّ عَنْ طَلٍّ » بعد أن قدّمت ذكر السَّرْحَةِ - وهي الشجرة -
لتتمكن من لفظة ظِلٍّ فتبعد التَّهْمَةَ . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السَّرْحَةَ أو الشاة أو
البيضة أو القلوص ، وهي الشابة من الإبل ، وتسكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهةً ، خطبها
جماعةٌ من أشراف الخوارج فردّتهم ، وكانت مع أمير الخوارج قطريُّ بن الفجاءة ، في جُند
(الْأَبَاضِيَّة) فكانت ترتجزُ في تلك الحروب وتقول :

أَحْمَلُ رَأْسًا قَدْ سَمْتُ سَحْمَلَهُ وَقَدْ مَلَكْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

أَلَا فَنَتَى يَحْمِلُ عَنِّي قِتْلَهُ ؟

والخوارجُ يَفْدُونَهَا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وكان « قطريُّ » يُشَبِّبُهَا . وفيها يقول

في وقعة دُولَاب ، وهو من رقيق الغزَل :

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا
 لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الظُّمِّ وَجْهَهَا
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصُرْتُ
 غَدَاةَ طِفَّتْ عِلْمَاهُ بِكَرٍ بَنٍ وَائِلٍ
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
 وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
 رَأَتْ فَتِيَّةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ
 وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
 شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
 عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ لَثِيمٍ
 طِعَانٍ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ نَمِيمٍ
 يَمْجُجُ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ
 أَغْرَى نَجِيبِ الْأُمَّهَاتِ ، كَرِيمٍ
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ حَمِيمٍ
 تُبْسِجُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلَّ حَرِيمٍ
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

* * *

أَسْمَاءُ النَّسَاءِ ^(١):

ولابن الوردي في « أسما » :

أَرَى أَسْمَا إِذَا غَضِبَتْ وَصَدَّتْ
 وَإِنْ هِيَ وَاصَلَتْنِي طَابَ قَلْبِي
 وَفِيهَا أَيْضًا :

قَدْ لَامَنِي فِي حَبِّ أَسْمَا عَاذِلْ
 فَاعْجَبْ لِهَجْرِي مَدَامَعِ أَوْقَمْتَهَا
 وَفِي أَمْنَةٍ :

قَدْ وَعَدْتَنِي بِالْوَفَا أَمْنَهُ
 كَيْفَ يَخَافُ الْقَلْبُ مِنْ بَيْنِهَا
 وَقَدْ غَدَتِ بِالرِّضَا أَمْنَهُ
 وَمَهْجَتِي أَضَحَتْ بِهَا أَمْنَهُ

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطب قوامها محبتها في لجة القلب كامنه
تهددني بالهجر في الوصل عامداً فأصبح منها خائفاً وهي آمنه
وللأزهرى في أنس :

أنست بالوصل مذ جاءت به أنس يوماً وعاذلها قد باء بالخرس
عن مالك قد روى نيران وجنتها لكن حديث اللقاء أرويه عن أنس
وله في حليلة :

قالوا حليلة صبحت بفرط وجدى عليه
لم لاترق لحالى فى الحبّ وهى حليلة
وفى خديجة :

خديجة قد سبتنى بنار خدّ وهيجه
وكانت الروح تقسو والآن روحى خديجه

وفيها أيضاً :

تمشق فى الهوى قلبى فتاةً تزين البدر ذو حسن بهيجه
أموت بحبها شوقاً وأحيا إذا ناديت ياستى خديجه
وفى زينب :

وعرض بذكرى حين تسمع زينب وقل ليس يخلو ساعة منك آله
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمعها تقول فلان عندكم كيف حاله ؟
وفى سلمى :

لسلمى من لواظها سهام لها فى القلب فتك أىّ فتك
إذا رامت تشكّ به فؤاداً يعوت السهم بغير شكّ
وفى عائشة :

أيا دهرُ خبرنى بحقّك واشفنى فسهام فكرى فى أمورى طائشه
أيجل أنى فى المحبة ميّت وحييتى من بعد موتى عائشه

وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف
أنت دعني أن أمت في حبها
تركت منه العوالي طائشه
ثم دعها بمد عيني عايشه

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها
كم أرضعتني وصلها بالهنا
مت جوى وهي بدا عالمه
ثم انثنت لي بآها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قامه
قد أرضعت طفل الهوى مره
عادلّه مع أنّها ظالمه
بوصلها ثم انثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قاتلتني قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبحر منها كاطمه
ما الإسم ؟ قالت : فاطمه

ولالأزهرى في نفيسة :

نفيسة بالها ملكت فؤادى
وقد حازت لفرط سنا بهاها
وأضحت في ملاحتها رئيسه
وذات الحسن مرتبة نفيسة

ولابن الجليل في عالمة :

عالمة عاملة بالجفاء
قلت لها هل تعلمين الذى
قامتها عادلّه ظالمه
ألقاه قالت إننى عالمة

وله أيضاً - فيها :

عالمة لها على
وأوتيت من كل شى
كرسيها فضلّ جسيم
ولها عرش عظيم

ولابن الوردي في قابلة :

أقول لقابله أدمى
أنا رجلٌ مقبل للقا
على حبها تقطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا
يصدر عن سمتها الراحمة
تكنم أسرار رقاى لها
أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقهت في عذابى
وبالت في جدالى
خود تسيط غراى
عن طرفها الغزالى

ولالأزهرى - في خياطة :

أحببتها كالبدر خياطة
منزلها في القلب والظرف
فلى ركوب الفرج من وصلها
وللرقيب الشل بالكف

وله في عجانة :

كف الفؤاد بظبية عجانة
ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجنت فؤادى بالنرام فاؤها
من أدمعى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائنة الجبن :

باينة جبن مُدْ هُمْتُ بها
رأى الورى روحى بها تعبانة
وكلّ أهل الحى قد تحقّقوا
بأننى أموت في الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت في رمضان من مسخرة
بديعة الحسن إلا أنّها ابتدعت
جاءت تسخرنا يوماً فقلت لها
كيف السحور وهذى الشمس قد طلّمت

ولابن الوردى في رومية :

روميّة الأصل لها مقلّة
تركّية صارمها هندى
تقضحنى وجنتها فاعجبوا
من وجنة فاضحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كأنها بدر
فخلّ من خلق
تملقنى مكرّاً ولا
ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامة بوجنتها يرقّ لي في حبّها الشامةُ
أخشى من اللامة إذا قبلتها فقوم بجنتي ينطق الصامتُ

وله في بدوية :

وبى من البدو كلاء الجفون بدت فلو بدت لسان الحضر قن لها
في قومها كهة بين آساد على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بى هيفاء من بنات العراق ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمى وشدت وثاقى بالعطايا رأيت باب الطاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا وقالت : احذر يا فتى فتنة
في عينها شيء ولاجا هنا للناس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السطّا مظهر البدر من مشرقه
إن بنت الغرب في موكبها كطلوع الشمس من مغربها

ولالأزهرى في مجوسية :

عابدة النور سنا نورها قد أحرقت قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعذارا فالويل ممّن يعبد النارا

وله في نصرانية :

زنار بنت النصارى فحّ لها أى فحّ
رجاني الشدّ منه وكثرة الشدّ ترخى

وقال آخر في مليحة تلعب بالشطرنج

لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها بالرخ شاة تسترت بالفيل

قالت : فنفسك ، قلت : حصّتها

لكن خذى فرسى هناك وفيلي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما^(١) :

قيل لأبي السائب الخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسب ؟

فقال : أمّا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !

والنَّسَبُ والتَّغَزُّلُ والتَّشْيِيبُ كلها بمعنى واحد .

قيل : الغزل هو إلفُ النِّسَاءِ والتَّخَلُّقُ بما يوافقُهُنَّ ، فمن جملة بمعنى التغزل فقد أخطأ .

وقدنبه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

وقال الخاتمي : من حكم النسب الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً

بما بعده من مدحٍ أو ذمٍّ ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان

في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتى انفصل واحد من الآخر وباينه في صِحَّةِ التركيب ،

غادر بالجسم عاهةً تتخونُ محاسنه وتُعفى معالم جماله .

ياليل الصب متى غده^(٢) ؟ :

من نواذر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدى أيضاً .

وهو : كان أبو الحسن ، على الحصري القيرواني ، ابن خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »

حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سَبْتَةِ » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات

نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة

التي أولها :

(١) في العمدة : لابن رشيق ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنهما صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنتاني أبو الفضائل المعروف
بالقمرأوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قَدْ مَلَّ مَرِيضُكَ عُوْدُهُ وَرَتَى لِأَسِيرِكَ حُسْدُهُ
لَمْ يُبْقِ جَفَاكَ سِوَى نَفْسٍ زَفَرَاتُ الشَّوْقِ تُصْعِدُهُ
هَارُوتُ يُعْمَعِنُ فِي السَّحْرِ إِلَى عَيْنَيْكَ وَيُسْنِدُهُ
وَإِذَا أَعْمَدْتَ اللَّاحِظَ فَتَكَ تَ فَكَيْفَ وَأَنْتَ تُجَرِّدُهُ
كَمْ سَهَّلَ خَذُّكَ وَجْهَ رِضَاً وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ
مَا أَشْرَكَ فِيكَ الْقَلْبُ فَكَمْ فِي نَارِ الْهَجْرِ يُخَلِّدُهُ

أَمَّا قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فهي :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ السَّمَارُ فَأَرْقَهُ أَسْفُ اللَّبَنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ مِمَّا يَرَعَاهُ وَيَرْصُدُهُ
كَفَّفَ بَغْزَالِ ذِي هَيْفٍ خَوْفَ الْوَاشِينَ يَشْرُدُهُ
نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَاً فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِي عَجْبَا أُنَى قَنْصٍ لِلسَّرْبِ سَبَانِي أَغِيدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعْبُدُهُ
صَاحِ وَالْخَمْرُ جَنَى قَمِهِ سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفَاً وَكَأَنَّ نُمَاسَاً يَنْغَمُهُ
فَيُرِيْقُ دَمَ الْعُشَاقِ بِهِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَّا ، لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَذِيهِ تَوْرُدُهُ
خَذَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بَدَمِي فَعَلَامَ جُفُونِكَ تَجْحَدُهُ

إِنِّي لِأُعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأُظَنُّكَ لَا تَتَمَمَّهُ
 بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَأَقُ كَرِّى فَلَمَلَّ خِيَالِكَ يُسْعِدُهُ
 مَاضِرُكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِّي صَبَّ يَدُنِيكَ وَتُبْعِدُهُ
 لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلْيَبِكْ عَلَيْهِ عُوْدُهُ
 وَغَدَاً يَقْضَى أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . يَتَرَوْدُهُ
 يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقٌ بِالْأَمْعِ يَفِيضُ مُورِدُهُ
 يَهْوَى الْمُشْتَأَقُ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَبْعِدُهُ
 مَا أَخْلَى الْوَصْلَ وَأَعَذَبَهُ نَوَلَا الْإِيَّامُ تُنَكِّدُهُ
 بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفَوَادَى كَيْفَ تَجَلُّدُهُ
 الْحَبَّ أَعْفُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسنان وضاعة الوجه^(١) :

كان لعز الدولة غلام ذكى وضىء الوجه ، ولفرط ميله إليه - جعله رئيس سرية جردت للحرب ، ولم يستحسن الميهلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَنِيَّ يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ عُوْدُهُ
 نَاطُوا بِمَقْعَدِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُهُ
 جَمَلَاوُهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكافت الدائرة على جيش الغلام كما أشار الميهلى ! .

وفى « خزانة الأدب » للبندادى ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هى التى تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هى التى كلما كررت بصرك منها زادتك حسناً .

(١) فى نفع الطيب .

وقيل : الجميلة هي السَّمينَة من الجميل وهو الشحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصبيحة كذلك ، من الصُّبْحِ لبياضه .

وروى أنس عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلُّبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .

وقال ابن عمر : قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ تَجْلُو الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يُذْهِبْنَ لَمَرَّ الْحَزَنِ الْمَاءُ ، وَالْخَضِرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب :

كان عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسولة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبي الشَّموس الجانحات غواربا » وفيها يقول :

أَسْبَلَنْ مِنْ فَوْقِ الشُّهُودِ ذَوَائِبًا فَتَرَكَنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْمَةً غَادِرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِيضُ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدُ قَالَ كَوَاكِبًا

سَفَهَنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
وسفرن لي ، فرائن شخصاً حاضراً
أشرفن في حُللٍ كأنَّ أديمها
وغربن في كِللٍ ، فقلتُ لصاحبي :
وَمُعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَثْنِي عِطْفُهُ
حُلُوُ التَّعْتِبِ وَالِدَّلَالِ يَرَوْعُهُ
عَاتِبَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
فَأَرَانِي الْخَدَّ السَّكِيمَ فَطَرَفُهُ
ذُو مَنْظَرٍ تَفْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
لَا عَرُونَ إِنْ وَهَبَ اللَّوَّاحِظُ حَفْوَةً
أَسْبَلَنَ مِنْ ظَلَمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبًا
شُدِّهَتْ بِصِيرَتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبًا
شَفَقُ تَدْرِهْمِهِ الشُّمُوسُ جَلَابِيَا
« يَا بِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا »
فِيخَالُ مِنْ فَرَجِ الشَّبِيحَةِ شَارِبَا
عَتَبِي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبَا
وَأَزُورُ الْخَاطِئًا وَقَطَبَ حَاجِبَا
ذُو النَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةُ مُغَاضِبَا
نَهْبًا وَإِنْ مَنَحَ الثُّيُونَ مَوَاهِبَا
مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَلْبِي نَاهِبَا

كل فتاة بأبيها معجبة^(١) :

أرجوزة للأغلب العجلى ، يقول فيها :
كَرِيمَةٌ أَخْوَالُهَا وَالْعَصَبَةُ
كَأَنَّهَا حَقَّةُ مِسْكِ مُذْهَبَةٌ
كَأَنَّهَا حِلْيَةُ سَيْفٍ مُذْهَبَةٌ
ثُمَّ انْتَهَتْ بِهِ فَوْيَقَ الرَّقَبَةِ
قَبَاهُ ذَاتُ سُرَّةٍ مُقَعَّبَةٌ
مَمْكُورَةُ الْأَعْلَى رَدَّاحُ الْحِجَبَةِ
أَهْوَى لَهَا شَيْخٌ شَدِيدُ الْعَصَبَةِ
فَاعْلَنْتُ بِصُورِهَا : أَنْ يَا أَبَهُ

« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب العجلى يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني^(١) :

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأعرجي السعدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى ديوان الإنشاء للفازر مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حَيَّا بِتَفَاحَةٍ مَخْضَبَةٍ مِنْ شَفَقَتِي حُبَّهُ وَتَيْمِينِي
فَقُلْتُ : مَا إِنْ رَأَيْتُ مُشَبَّهًا قَاحِرًا مِنْ خَجَلَةٍ فَكَذَّبْنِي
وقال أيضاً :

وَأَصْلُ بَلِيَّتِي مَنْ قَدْ غَزَانِي مِنْ السَّقَمِ الْمُلِحِّ بِمَسْكَرِينِ
طَبِيبٌ طَبَّهُ كَفَرَابَ بَيْنِي يُفَرِّقُ بَيْنَ عَافِيَتِي وَبَيْنِي
أَتَى الْحَمَى وَقَدْ شَاخَتْ وَبَاخَتْ فَعَادَ لَهَا الشَّبَابُ بِنَسَخَتَيْنِ
وَدَبَّرَهَا بِتَدْيِيرٍ لَطِيفٍ حَكَاهُ عَنْ سُنَيْنٍ أَوْ حُنَيْنِ
فَكَانَتْ نُوبَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ فَصَيَّرَهَا بِحَذَقٍ نَوْبَتَيْنِ
وقال أيضاً :

يَاوَارِثًا عَنْ أَبِي وَجَدَ فَضِيلَةَ الطَّبِّ وَالسَّدَادِ
وَحَامِلًا رَدًّا كُلَّ نَفْسٍ هَمَّتْ عَنِ الْجِسْمِ بِالْبِمَادِ
أُقْسِمُ لَوْ قَدْ طَبِيتَ دَهْرًا لِمَادِ كَوْنًا بِلَا فُسَادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بَيْضٍ سَلَكَنَ بِاللَّحْظِ بَيْضًا مَرْهَفَاتٍ جُفُونُهُنَّ جُفُونُ
وَحُدُودٍ لِلدَّمْعِ فِيهَا خُدُودٌ وَعُيُونٍ قَدْ فَاضَ مِنْهَا عُيُونُ

(١) في فوات الوفيات .

وقال أيضاً :

حَبَّذَا مُتَمُّعُ الشَّبَابِ يُهْ ذَرُّ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِذَارِ
إِذْ بَذَاتِ الْخَمَارِ أُمْتَمَعُ كَلِمَى وَبَذَاتِ الْخِمَارِ أَلْهُو نَهَارِ
وَالْقَوَانِي لَا عَنْ وَصَالِ غَوَانِ وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَارِ

تشبيب عمر بن أبي ربيعة :

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكثزة اللحم ، على جانب وافر من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خُلُقها أُنْفَةٌ وعِزَّةٌ وصِرامَةٌ ، حتَّى أنَّ أباهِيرةَ رآها يوماً فسَبَّحَ وقال : كأنَّها من الحور .

وقد رَوَى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أنَّ عمر بن أبي ربيعة قال يشبَّبُ بمائِسة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيالِ رهيئاً مقصداً يوم فارق الظاعنينِ
لم يرُ عني إلَّا الفتاةُ وإلَّا دمعها في الرَّدَاءِ سحّاً سخيناً
عجَّلَتْ حَمَّةُ الفراقِ علَّيناً برحيلٍ ولم تخفِ أن تبيناً
أنتِ أهوى العبادِ قُرْباً ووُدّاً لو تَوَاتَيْنَ عاشقاً محزوناً
قاده الطَّرْفُ يوم مرَّ إلى الحية نـ جهاراً ولم يخفِ أن يحيناً
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضئ للناظريناً
فإذا ظُبية تراعى نماجاً ومهاً بهيج الناظر عيناً
قلتُ : من أنتم ؟ فصَدَّتْ وقالت أُميدٌ سؤالُك العالميناً ؟
قلتُ : بالله ذى الجلالة لَمَّا إذ تبلتِ الفؤادَ أن تصدقينا
أى من تجمعُ المواسمُ أُنتمُ فأينى لنا ولا تكذِّبينا

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
 قد صدقناك أن سألتَ فمن أذ تِ عسى أن يَجُرَّ شَأْنُ شَوْوَنَا
 قد نرى أَنَّنَا عرفناكَ بالنَّهْ تِ نظنَّ وما قَتَلْنَا يَقِينَا
 بِسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَنُفَرِّقُ قَد زَاهٍ لِنَظَرٍ مُسْتَبِينَا
 فكانت عائشة تقول : والله ما قلتُ له هذا وما كلمته قط .

وأنبأنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت : يا أمير المؤمنين ، مرُّ لي بأعوان ، فصير إليها قوماً يكونون معها ، فحجّت ومعهما ستون بطلاً عليها الهودج والرحائل .

صُبْحُ الْمَشِيبِ يَدِلُّ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ ^(١) :

قال الأمير أسامة بن منقذ :

قالوا نهاء الأربعون عن الصَّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُوزُ ثَمَّةٌ يَهْتَدِي
 كم حار في ليل الشباب ، فدَلَّهُ صُبْحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
 وإذا عددت سِنِّيَّ ثُمَّ نَقَصْتُهَا وَمِنْ الْهَمُومِ فَتَلَكِ سَاعَةُ مَوْلَدِي

الشاعر الغزال ^(٢) :

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني ، وجّه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني ، وسرّ به سروراً عظيماً ، ونال من لذه ودّاً وتكريماً ، حتى إنه مال إليه ، وقرّبه لديه ، فطلب منه منادمته ، إلا أنه امتنع لما أدرك جليلة الأمر معتذراً بتحريم الخمر .

(٢) في فتح الطيب ج ١ ص ٤٥١ .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ .

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءاً، فما لبث الغزالُ لا يميل طرفه عنها شغفاً بياهر ما استرعاه منها، وجعل الملك يحدثه وهو لاهٍ عن حديثه. فانكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أأني قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه، فإني لم أرق مثلاً. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكانما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر الغزال. كما سرت الملكة بوصفه لها.

غزالٌ قد غزا قلبي^(١):

في كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال، وشهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الخمسين أو تزيد، وقد وخطه الشيبُ ولكنه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تودُ) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيبُ؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم ترى قط مهرأً ينتج وهو أشهبُ؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كَلَّفَتْ يَاقَلْبِي هَوًى مُتَعِباً	غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْعَمُ الْأَغْلَبَا
إِنِّي تَمَلَّقْتُ مَجُوسِيَّةً	تَأْتِي لَشَمْسِ الْحُسْنِ أَنْ تَغْرُبَا
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا	يُلْفَى إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا
يَا تَوْدُ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الَّذِي	تُطْلِعُ مِنْ أَزْرَارِهَا الْكُوكَبَا
يَابِأَبِي الشَّخْصُ الَّذِي لَا أَرَى	أَخْلَى عَلَى قَلْبِي وَلَا أَعْذَبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنَّ عَيْنِي رَأَتْ	مُشَبِّهَهُ لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذَبَا
قَالَتْ: أَرَى (فَوْدِيَّةَ) قَدْ نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أَبَ أَدْعَبَا

قلت لها : ما باله ... إِنَّهُ قد يُنَجِّجُ المَهْرُ كذا أَسْهَبَا
 فاستضحكت عَجْبًا يَقُولِي لَهَا وَإِنَّمَا قُلْتُ لِكَيِّ تَعْجَبَا
 قال : ولما فهِمَها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب ففَدا عليها،
 وقد اختَضَبَ وقال :

بَكَرَتْ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِي فَكَأَنَّ ذَاكَ أَعَادَنِي لِشَبَابِي
 مَا الشَّيْبُ عِنْدِي وَالْخِضَابُ لَوَاصِفٍ إِلَّا كَشَمْسٍ جُلَّتْ بِضْيَابِ
 تَخْفَى قَلِيلًا ثُمَّ يُقْسِمُهَا الصَّبَا فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لِنَهَابِ
 لَا تُنْكِرِي وَضَحَ الْمَشِيبِ فَأَتَمَّا هُوَ زَهْرَةُ الْأَفْهَامِ وَالْأَلْبَابِ
 فَلَدَى مَا تَهْوِينِ مِنْ زَهْوِ الصَّبَا وَطَلَاوَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ

غرام أم جنون :

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
 محبوبته ، ولم يعين لها اسماً - حتَّى لا يُشهرَّ بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
 إلا لمن لس ودادها من الخاص ، وفي الأبيات التي يناجيه بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير ،
 سحرًا حلَّالًا . وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

تَمَكَّنَ مِنِّي السَّقَمُ حَتَّى كَأَنَّنِي تَوْهَمُ مَعْنَى فِي خَفِيِّ سُؤَالِ
 وَلَوْ سَامَحْتُ عَيْنَاهُ عَيْنِي فِي الْكَرَى لِأَشْكَلَ مِنْ طَيفِ الْخِيَالِ خِيَالِي
 سَمَحْتُ بِرُوحِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ وَجُدْتُ بِقَلْبِي وَهُوَ عِنْدِي غَالِي
 وَقَدْ خِفْتُ أَنْ تَقْضَى عَلَيَّ مَنِيَّتِي وَلَمْ أَقِضْ أَوْطَارِي بِيَوْمٍ وَصَالِ
 وَهَوْنٌ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ أَنَّهُ صَدُودُ دَلَالٍ لِاصْدُودِ مَلَالِ
 فَلَوْ كَانَ ذَاكَ الصَّدُّ مِنْهُ مَلَالَةٌ شَدَدْتُ عَنْ الدُّنْيَا مَطْيَ رَحَالِي

ثمّ مالبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناسيده . فقال :

ما بال قلبك يستبين أبه غرام أم جنون
 برح الخفاء بما تحن فأذهب الشكّ اليقين
 حتى مشى بين الجوا نح والضلوع هوى نفين
 وإلى متى قلب المتسليم في يد البلوى رهين
 شخصت له فيك العيون وقسمت فيك الظنون
 وسلبت الباب الورى بلواظ فيها فتون
 وقوام أغصان الريا ض وأين تدركك الغصون
 الحسن في الأغصان فن وهو في هذا فنون
 من أين للأغصان ذا لك الحسن والسحر المين ؟
 أم ذلك الورد الجنى بحدّه والياسمين ؟

سلعوس وسلعسة^(١) :

قال إبراهيم بن المهدي : كنت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي « عريب » على سبيل
 العبث : ياسلعوس . فقلت :

أما لعريب أن ترى غير سلعسة فكوني كما أنت ، تكوني كمؤنسة
 فقال المأمون على الفور :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالِكَ شك أن ذلك وسوسة
 قال إبراهيم : فمجتبت من فطنة المأمون . وقلت :

كذا - والله - يأمر المؤمنين قدّرت ، وإبّاه أردت !

عاتكة بنت معاوية :

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان - قال : حدثني محمد ابن عمر - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ، واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حجّت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان - فنزلت من مكة بذي طوى ، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ واتقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جواربها فرفعن السّتر وهي جالسة في مجلسها ، عليها شُفوفٌ لها ، تنظرُ إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دِهبل الجمحيّ - وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا . فوقفَ طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها ، وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له سترت وجهها ، وأمرت بطرح السّتر . وشتّمته ، فقال أبو دِهبل :

إني دعاني الحين فافتادني حتى رأيتُ الظبيَ بالبَابِ
يا حسنه إذ سبّني مذبرًا مُستترًا عني بجلبَابِ
سبحان من أوقعها حسرةً صُبّت على القلبِ بأوصَابِ
يدودُ عنها إن تطلّبتها أبٌ لها ليسَ بوهَابِ
أحلبًا قصرًا منيعَ الدّرى يُحمى بأبوابٍ وحُجَابِ

وقال أيضًا :

طالَ ليلى وبتُ كالْمَحزُونِ ومَلّتُ النَّوَاءَ في جِروُنِ
وأطلتُ المقامَ بالشّامِ حتّى ظنَّ أهلي مُرَجَمَاتِ الظُّنُونِ
فبَكَتْ خشيّةَ التفرُّقِ جُمْلُ كبكاءِ القرينِ إثرَ القرينِ
وهيَ زهراء مثلُ لؤلؤةِ الفِوَاصِ مِيزت من جوهرٍ مكنونِ
وإذا ما نسبّتها لم تحبّها في سنَاءٍ من المكارمِ دونِ
ثمَّ خاصرّتها إلى القُبّة الخفضِ راءِ تمشي في مرمرٍ مسنونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سَقْمِي وَتَقَلَّبْتُ لَيْلَاتِي فِي فُنُونٍ
لَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوَى طَارَ نَوَى أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح :

قال ابن بسّام^(١) : كان المَعْتَصِمُ بْنُ صَمَادِحَ ، يوماً مع نُدَمَائِهِ . فَأَبْرَزَ لَهُمْ وَصِيفَةً مَهْدَوِيَّةً مُتَصَرِّفَةً فِي أَنْوَاعِ اللَّعِبِ الطَّرْبِ مِنَ الدَّكِّ . وَحَضَرَ أَيْضاً هُنَاكَ لَاعِبٌ مِصْرِيٌّ سَاحِرٌ ، فَكَانَ لَعِبُهُ حَسَنًا ، فَارْتَجَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَدَّادِ :

كَذَا فَلْتَلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاضِرًا
وَسَيِّئُكَ سَيِّبُ نَدَى مُغْدِقٍ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقٍ مُنِيرًا كَنُورِ الصُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اصْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ لَحْظُنَا مُحْيَا الْعَلَا سَافِرًا
وَأُطْلِمَتْ فِيهِ نَجُومَ الْكُؤُوسِ فَمَا زَالَ كَوْكُبُهَا زَاهِرًا
وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا فَاتِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
وَتَنَاهَ ثَابِتٌ لَأَلْمَائِهِ دَقَائِقُ تَتْنِي الْحِجَا حَازِرًا
وَفِي سَوْرَةِ الرَّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَّهَتْ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ الْإِحْظَ أَثْنَاءُهَا فَمَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا صَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِيدَاعِهِ فَمَا انْفَكَ عَارِضُهَا مَاطِرًا
وَسَعْدُكَ يَجْتَلِبُ الْغُرَبَاتِ فَيَجْمَلُ غَائِبَهَا حَاضِرًا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان :

أهدى المنذر الأكبر^(١) إلى أنوشروان ، جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمّر النسائي ، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال :

إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً مُعتدلة الخلقِ ، نقيّة اللونِ والثّمر ، بيضاءَ قمرًا ، وطفاءَ كحلًا ، دَعَجَاءَ عَيْنًا ، قَنَوَاءَ شَمَاءَ ، بَرَزْجَاءَ زَجَاءَ ، أَسِيلَةَ الْخَدِّ ، مَهْيَةَ الْقَبْلِ ، جَنَلَةَ الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الْهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَظِيظَةَ عَرِيضَةِ الصَّدْرِ ، كَاعِبَ الثَدْيِ ، ضَخْمَةَ مِشَاشِ النِّكَبِ وَالْعَضُدِ ، حَسَنَةَ الْمِصَمِّ ، لَطِيفَةَ الْكَفِّ ، سَبْطَةَ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبُطْنِ ، خَمِيسَةَ الْخِصْرِ ، غَرَّتِي الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ الْإِقْبَالِ ، رَابِيَةَ الْكَفَلِ ، لَفَاءَ الْفَخْذَيْنِ ، رِبَاءَ الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ الْمَاكَمَتَيْنِ ، مُفَعَّمَةَ السَّاقِ ، مَشْبَعَةَ الْخُلْخَالِ ، لَطِيفَةَ الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قُطُوفَ الْمَشْيِ ، مَكْسَالَ الضُّحَى ، بَصْنَةَ التَّجَرُّدِ . وهى سموع للسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْسَاءَ وَلَا سَفْمَاءَ ، دَقِيقَةُ الْأَنْفِ ، عَزِيزَةُ النَّفْسِ ، لَمْ تُغَدَّ فِي بُوْسٍ ، رَزِينَةُ حَلِيمَةٍ ، رَكِينَةٌ ، كَرِيمَةٌ الْخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتُسْتَغْنَى بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جُمَاعِ قَبِيلِهَا ، قَدْ أَحْكَمَتْهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَعَمَلَهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ، صَنَاعَ الْكَفِّينِ ، قَطِيعَةَ اللِّسَانِ ، رَهْوَةَ الصَّوْتِ ، سَاكِئَةً ، تَزِينُ الْوَلِيَّ ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ .

إِنْ أُرْدَتْهَا اسْتَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكْتُهَا انْتَهَتْ .

فارسي عربي جميل :

حكى حمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحبُّ أن أسمعها وأجمعها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتیان من بنی مُلْكَبَة ، فذهبتُ إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

ففررت بفناء خيمته ، وإذا غلامٌ ما رأيتُ مثله قَطَّ حُسْنًا وجمالًا . له ذؤابتان كأنهما
السَّحْبُ المنظوم ، تحت ذلك وجهٌ كالقمر ليلة تَمَّة . وعنده امرأة أحسنُ منه وأجلُّ ، وأكثرُ
ما أسمع من كلامها (يا بُنَيَّ) ، وهو يَبْتَسِمُ لها وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعبٌ
عذراء ، ولا يَرُدُّ لها جوابًا من الاستحياء . فاستَحَسَّنتُ ما رأيتُ منهما ، فدنوت من الحياء ،
فَبَصُرَتِ المرأةُ بي . ثمَّ قالت لي : يا حَضْرِي ، ما حاجتُك ؟ . فقات : لا حاجة لي إلا الذي
استَحَسَّنتُ مِنْكَ وَمِنْ هذا الغلام . فقالت : أتحبُّ أن أُسَمِّعَكَ شيئًا من خبره ، وهو
خيرُ لك من نظره ؟ . فقلت لها : هاتِي لله دَرُّ أَيْبِكَ . فقالت لي : إني حملته تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ،
فكُنَّا في عَيْشِ ضَنْكِ كَدِيرٍ ، وَرِزْقِ نَزْرِ حَقِيرٍ ، حتَّى إذا شاء الله أن أضعه ، فوضعتُه -
بحمد الله خَلَقًا سَوِيًّا ، فلا وأَيْبِكَ ما هُوَ إِلَّا أن وضعتُه حتَّى منَّ الله عَلَيْنَا ، وأَجْزَلَ
وسَهْلَ وتَفَضَّلَ ، بِيَمَنِ وَجْههِ وسعادة طَلَعَتِهِ . فَسَمَّيْتُهُ (مَالِكًا) ثمَّ أرضعته حَوَائِنَ
كاملَيْنِ . فلَمَّا استتمَّ الرِّضَاعُ ، نَقَلْتُهُ مِنَ المَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فَنَشَأَ يَبْنُو كَأَنَّهُ شِبْلُ
أَسَدٍ ، نَقِيهِ بَرْدُ الشِّتَاءِ وحر الصَّيْفِ . فلَمَّا مرَّ عليه خَمْسَةُ أعوامٍ ، دفعته إلى مُؤَدِّبٍ
يُعَلِّمُهُ القُرْآنَ ، فقرَأه وتلاه ، ونظَّم الشَّعْرَ ورواه ، حتَّى أتمَّ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فأرْكَبته
عِتَاقَ الخَيْلِ فتَفَرَّسَ ، وَحَمَلَ السَّلَاحَ فتَشَرَّسَ ، ومشى بَيْنَ بُيُوتِ الحَيِّ ، وأصغى
إلى صَوْتِ الصَّارِخِ ، وأنا خَائِفَةٌ عَلَيْهِ وَجِلَةٌ مُشْفِقَةٌ مِنَ الأَلْسِنَةِ أن تشينه ، ومن الأَلْحَظِ
أن تَعْمِيَنِهِ ، حتَّى شاء الله أن تُصَيِّبَنَا سِنُونُ أَجْدَبَتْ بِلَادَنَا ، وكاد يَهْلِكُ كِبَارُنَا وأَطْفَالُنَا ،
نَخْرَجُنَا إلى مَنَاهِلٍ غَيْرِ مَنَاهِلِنَا ، وَنَزَلْنَا فِي غَيْرِ مَنَازِلِنَا ، نَخْرُجُ أَصْحَابُنَا لَطَلَبِ ثَارِهِمْ ،
وَخَلَفُهُ عَنِ الرُّكُوبِ مَعَهُمْ وَجَعِ أَصَابِهِ ، فلا وأَيْبِكَ ما عَلِمْنَا حتَّى دَهَمَتْنَا الخَيْلُ
مِنَ العَدُوِّ ، ولم يتولَّنَا عَقْلٌ ، ولا هَدُونَا . فإِذَا هُنَا حتَّى حَازُوا عَلَى الأَمْوَالِ ،
وانهَزَمَ الرِّجَالُ ، وَهُوَ فِي البَيْتِ يَسْأَلُنِي عَنِ الصَّوْتِ ، وأنا أَكَاتِمُهُ خِيفَةً عَلَيْهِ .
حتَّى عَلَتِ الأصْوَاتُ ، وَبَرَزَتِ المَخْبَآتُ . فلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ ثَارَ كَمَا يَثُورُ اللَّيْثُ المُنْضَبُّ ،
وَأَسْرَجَ فَرَسَهُ ، ثمَّ أَفْرَغَ عَلَيْهِ لَأْمَةً حَرِيَّةً ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، واعتَقَلَ رُمْحَهُ . ثمَّ لَحِقَ العَدُوَّ ،

فطمَنَ أَذَنِي فَارِسٍ مِنْهُمْ فَأَرْدَاهُ قَتِيلًا ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِ ، فَأَرَوْهُ وَلَدًا لَطِيفًا ، صَبِيًّا ظَرِيفًا ،
فَمَطَفُوا عَلَيْهِ . . . وَتَلَقَّاهُمْ ضَرْبًا بِالسَّيْفِ ، وَطَعْنًا بِالرُّمَحِ ، حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُهُمْ
وَفَرَّ الْبَاقُونَ !

غَنِيَّةُ : شَحَّاذَةٌ :

لو كان بالصبر الجميل ملاذُهُ	ماسحٌ وابلٌ دمعهُ ورذاذُهُ
ما زال جيشُ الحبِّ يغزو قلبَهُ	حتى وهى وتقطعتْ أَفْلاذُهُ
لم يبقَ فيه من النِّرامِ بَقِيَّةٌ	إِلَّا رَسِيسٌ يَحْتَوِيهِ جُدَّادُهُ
من كانَ يَرْغَبُ فِي السَّلَامَةِ فَلْيَكُنْ	أَبَدًا مِنَ الْحَدَقِ الْمَرِاضِ عِيَاذُهُ
لا تَحْدَعَنَّكَ بِالْفُتُورِ فَإِنَّهُ	نَظَرُهُ يَضُرُّ بِقَلْبِكَ اسْتِلْذَاذُهُ
يَا أَيُّهَا الرَّشَاءُ الَّذِي مِنْ طَرَفِهِ	سَهْمٌ إِلَى حَبِّ الْقُلُوبِ نَفَاذُهُ
دُرٌّ يُلُوحُ بِفِيكَ : مَنْ نَظَّامُهُ ؟	خَمَرٌ يَجُولُ عَلَيْهِ : مَنْ نَبَّازُهُ
وَقَنَاءُ ذَاكَ الْقَدِّ : كَيْفَ تَقَوَّمَتْ ؟	وَسِنَانُ ذَاكَ اللَّحْظِ : مَا فُؤَادُهُ ؟
رَفَقًا بِجِسْمِكَ لَا يَذُوبُ فَإِنَّنِي	أَخْشَى بَأْنَ يَجْفُو عَلَيْهِ لَآذُهُ
هَارُوتُ يَعْجِزُ مِنْ مَوَاقِعِ سِحْرِهِ	وهو الإمام ، فمن تُرَى أَسْتَادُهُ
تَاللَّهِ مَا عَلِقَتْ مُحَاسِنُكَ أَمْرًا	إِلَّا وَعَزَّ عَلَى الْوَرَى اسْتِنْفَاذُهُ
أَغْرَيْتَ حُبَّكَ بِالْقُلُوبِ فَأَذَعَنْتَ	طَوْعًا وَقَدْ أَوْدَى بِهَا اسْتِحْوَاذُهُ
مَالِي أَتَيْتُ الْحِظَّ مِنْ أَبْوَابِهِ	جَهْدِي ، فِدَامَ تَقَوُّرِهِ وَلِوَاذُهُ
إِيَّاكَ مِنْ طَمَعِ الْمُنَى ، فَعَزِيزُهُ	كَذَلِيلِهِ ، وَغَنِيَّةُ : شَحَّاذُهُ

العيون

لأعذب العين :

قال الشاعر^(١) ابن الصّفى يصف العيون :

هى التى توقّع القلب فى التعب ، وتوفّر نصيبه من أسهم الهمّ والنّصب ، وترميه بدواهى
الهوان ودواهى الهوى ، وتسلمه إلى مكايده الغرام ومكايده الجوى ، لوعُذبتُ بطول السّهر
وكثرة الدّموع وبفيض الشّتون وعدم الهجوع ، وبسامرة الأحزان والفسكر ، وبمراقبة
النجوم إلى السّحر ، وبعدم الإغفاء وطول السّهر - لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن
طاما ، وعدم منال المنام وإن نما :

لأعذبَ العينَ غيرَ مُفكّرٍ فيما جرتْ بالدمعِ أو سالتْ دما
ولأهجرنَّ من الرّقادِ لذيذهُ حتى يعودَ على الجفونِ محرّما
هى أوقعتنى فى حبالٍ لفتنةٍ لو لم تكنْ نظرتْ لكنتُ مسلّما
سفكتْ دمي فلاسفنّ دموعها وهى التى بدأتْ وكانتْ أظلاما

ولعلّ موجب هذه الواعظة ، والألفاظ التى هى بالتحذير لافظة أنى خرجت فى بعض الأيام
متفرّجا وسارحا ، وجائلا بطرفى فى الرياض وسائحا ، وصحبى صديق لى فى الحبّة صادق ،
ورفيق لى فيما أرومُ موافق ، قد ملك كلّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلّ حذقٍ وظرافة ،
ينصبّ لخدمتي لا يعلّ ولا يسأم ، ويتعب فى مرّضاتى لا يكلّ ولا يندم ، ويجهّد فى موافقتى
لا يئمن ولا ينم ، ويحسنُ مرافقتى لا يندم ولا يندم ، قد اتخذته جُهينة أخبارى ، وكنزًا
لخزائن أُمّارى ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندى كما قيل :

برُوحى مَنْ لا أستطيعُ فراقه ومن هو أوفى من أخى وشقيقى
إذا غاب عني لم أزل متلفّتا أدورُ بعينى نحو كلّ طريق

معانى لفظ العين :

للعلمة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة فى معانى لفظ العين ،
وهى فى فنّها غريبةٌ - قد احتوت على معانى فى لفظ (عين) . وقد جملَ حروفَ اسمه فى أوائل
أبياتها بالترتيب . وهذه هى القصيدة كما نُقلت من خط الشيخ مصطفى البدرى فى كراسة
« مجموعة لفوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظبيّ الفلّا وكحيلَ عَيْنٍ ويا بدرَ الدّجى وضياءِ عين
(الشمس)

حُميتَ من السكرِ ياغزالًا حوى كلّ السّكّالِ بدونِ عين
(العيب)

ملكْتَ القلبَ منى يا حبيبي وحقّ المصطفى المُجرى لَمَين
(الماء)

دعانا للهداية نِعم طه رسولٌ قد أبانَ لِطُرُقِ عَيْنٍ
(حقيقة التّبتلة)

أمينُ سيّدُ ما فيه شكٌ به تُهدى الأنام بكلِّ عَيْنٍ
(الناحية)

له ذاتٌ خلتُ من كلّ سوءٍ وقلبٌ قد خلا من شَيْنِ عَيْنٍ
(الرّياء)

سما فوقَ السّماءِ ونالَ قُربًا وخطبَ ربّه وَحَظى بِمَينِ
(النظر)

جميلُ النّفسِ والأفعالِ قطعًا صنيُّ خالصٍ من قُبْحِ عَيْنٍ
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المنقور له العلامة أحمد تيمور باشا وذلك بالداد الآخر.

- أَذَاعَ الْخَيْرَ فِينَا كُلَّ وَقْتٍ وَعَوَّذَ أُمَّةً مِنْ شَرِّ عَيْنٍ
(إصابة العين)
- عَلَا رَتَبًا فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ وَأَظْهَرَ دِينَهُ لَخِيَارِ عَيْنٍ
(الجماعة)
- يُقيمُ شَرِيعَةً غَرَاءً فِينَا . . . كَمْ قَدْ هَدَى مِنْ كُلِّ عَيْنٍ
(الإنسان)
- رَوْوْفٌ بِالْبَادِ رَحِيمٌ قَلْبٍ عَظِيمُ الْقَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنٍ
(الكبير)
- كَرِيمٌ مُنْتَقًى ، بِحَرِّ الْعَطَايَا فَكَمْ مَنَحَ الْأَنَامَ جَزِيلَ عَيْنٍ
(المال)
- عَظِيمٌ مُجْتَبًى قَدْ ظَلَمَتْهُ لَدَى حَرِّ عَظَائِمُ كُلِّ عَيْنٍ
(السحاب)
- خَلِيلُ اللَّهِ أَحْمَدُ ذُو كَمَالٍ بِحَيْرِ النَّاسِ مِنْ لَحْظٍ بَعِينٍ
(المطر)
- رَحِيمٌ بِالْعَبَادِ صَرِيحٌ بِأَسٍ عَلَى قَوْمٍ لَثَامٍ مِثْلَ عَيْنٍ
(الطائر)
- كَبِيرُ الْقَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا مُنِيتِ النَّاسِ مِنْ حَرٍّ لَمِينٍ
(شعاع الشمس)
- رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ لَنَا فِيكَ الرَّجَا يَنْسَلُ عَيْنٍ
(الخيار)
- فَكَمْ صَرَفَتْ عَنَّا مِنْ كُرُوبٍ بِدُنْيَا ثُمَّ أُخْرَى عَمَدَ عَيْنٍ
(الجد واليقين)
- وَخَلَقَكَ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ حَقًّا حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنٍ
(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظبي الفلا وكيل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها :

في أول كتاب « سحر العيون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجنان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوضا
فيه ليعلم أيهما أصبر على الغوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في مائها سُميت : المقلة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أي : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزل وغزل مكحلة . ولي عين تباكت

وحاكت في فعايلها المواضي فيالك مقلة غزكت وحاكت

و (الحدقة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدِّقُ بها ،

ويقالُ : أَدَقَّ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ - لَتَتَان - أَى : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .
وقال الشريف الرضى :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تَفِيْقُ وَقَدْ رَأَتْ عَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْعُشَاقِ ؟
فَتَكْتَبُكَ الْحَدَقُ الْمَرَاضُ وَلَمْ تَزَلْ تُشْجِي الْقُلُوبَ جَنَائِيهِ الْأَحْدَاقِ

و (الناظر) : السَّوَادُ الْأَصْفَرُ الَّذِي يُبْصِرُ فِيهِ الرَّائِي شَخْصَهُ ، وَالرَّابُّ يَقُولُ : هُوَ مِثَالُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَازِرُهَا ، وَبَصَرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغْبَتُهَا ، وَيُؤَبُّوْهَا ، وَتَمَثَّلُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحَبُّهَا ، وَمَذَلُّهَا .

قال ابن مطرفٍ : وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا لِمَوْضِعِ الْبَصَرِ الَّذِي فِي حَاسَّةِ الْبَصَرِ ، وَالْجَمْعُ : نَوَاطِرُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّائِي صُورَةَ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لَصَفَائِهِ ، وَيَسْتَدَلُّ عَلَى صِحَّةِ الْحَاسَّةِ بِمَا تَخِيلُ فِيهِ .

و (الناظران) - أَيْضًا : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يَسْقِيَانِ الْأَنْفَ ، يَقَالُ إِنَّهُ لَمُرْتَفَعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيَقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرٍ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يَجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرُ . قَالَ شَارِحُ كِتَابِ الْفَصِيحِ : نَظَرْتُ لِعَيْنِي وَنَظَرْتُ : انْتَهَرْتُ وَتَنْظَرْتُ .

و (نظرت) بِمَعْنَى : رَحِمْتُ وَتَكَلَّمْتُ . وَأَنْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَّرْتُهُ ، وَأَنْظَرْتُهُ : جَمَلْتُهُ يَنْتَظِرُنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (انظُرْنَا) أَى : أَمْهَلُونَا : قَالَ الشَّيْخُ بَرَهَانَ الدِّينِ الْقِيَرَاتِي :

يَا قَاتِلِي بِنَوَاطِرِ أَجْفَانِهَا بِسَيُوفِهَا الْأَمْثَالُ فِينَا تُضْرَبُ
قُلٌّ لِلْفَزَالِ أَوْ الْفَزَالَةِ إِذْ رَنَتْ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَغْيِبُ

و (الحَالِيقُ) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْفَانِ ، وَاحِدُهَا حَالِقٌ - قَالَ ابْنُ مَطْرَفٍ : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا - إِذْ قَلِبْتَ لِلْسُّكْحَلِ - مَحْمَرَةً . وَقَالَ الزَّيْدِيُّ : الْحَالِيقُ : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيَقَالُ لِلْمُؤَخَّرِ الْعَيْنَيْنِ مَائِلِي الصَّدْعَيْنِ : الْحَقِيَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَارُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبُتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالوَاحِدُ : شَفْرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَرْفُهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن نَبَاتَة :

إِذَا كَانَ شَفْرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَعِنْدِي أَنَا الْأَشْفَارُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

و (الأهداب) : الشعرُ النابت عليها ، واحدها : هُدْبٌ - بضم الهاء وسكون الدال المهملة ، قال الشيخ برهان الدين :

أهدابٌ لَحْظُكَ للورى شركٌ فَمَنْ أَوْثَقَتْهُ فَيَهِنٌ لَا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النَجَاةُ وَرُمَحٌ قَدَّكَ مُشْرَعٌ؟ كَيْفَ الْخِلَاصُ وَسَيْفٌ لَحْظُكَ مُصَلَّتٌ؟
(المحجر) : مدار بالعين ، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب ، وجمعها محاجر ، ويقال :
مَحْجَرٌ - بفتح الميم وكسرهما ، وفتح الجيم وكسرهما أيضاً ، وإنما سُمِّيَ المحجر محجراً لأنه
مفعل من الحَجَرِ وهو النَّعْ ، فكانت مانعٌ عن العين من جميع جهاتها ، ومنه الحجرة
المحيطة بالجدر ، والجمع : الحُجُرَات .

قال الأمير سيف الدين المشد وأجاد :

إِنَّ الْعِيُونَ لَكَ الْحَصُون : فَهَدَّبَهَا شُرُفَاتُهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَارُ
وكذا محاجرُها : الخنادقُ حَوْلَهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا مُمْ الْأَنْوَارُ
و (الماق) و (الموق) : هو طرفُ العينِ مما يلي الأنف ، وهو خَرَجُ الدمع من العينِ ،
ولكلِّ عَيْنٍ مَوْقَان ، وفي الموقِ وفي جمعه لُغَاتٌ كثيرةٌ يقال : مَاقٌ - بالهمز ، وجمعه آماق ،
وموقٌ - غير مهموزٍ ، وجمعه أمواقٌ وأماقٍ ومَاقٍ . والمقية - لُغَةٌ في الماقِ أيضاً ، والجمع
مُقَى . والماق : مقدمها . وقيل : الموق مؤخرُ العينِ ، وماقٌ يُجْمَعُ على مَوَاقٍ مثلُ قَاضٍ
وقَوَاضٍ . وفي الحديث : « كَانَ يَكْتَحِلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » .
قال المتنبي يمدحُ كافور الأخشيدي :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارَكُ غَيْرُهُ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا
فَجَاءَتْ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)
و (الألحاظ) : جمعُ لَحْظٍ ، وهو مؤخرُ العينِ الذي يلي الصدى وجمعُها لحاظٌ ، ولواحظُ .
فأما اللحظةُ فهي النَّظَرَةُ وجمعُها : لَحْظَاتٌ في القليل ، واللحظ في الكثير ، ويجوز أن
يجعل موضعَ اللَّحْظَةِ . يقال : لحظَ العين - مثل رأى العين ويقال : لحظَ السماءَ بظرفه يلحظ
لحظاً فهو لاحظ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :

يا نظرةً قد جَلَتْ لى حُسْنِ طَلَمْتِه حَتَّى انْقَضَتْ وَأَدَامْتَنَا عَلَى وَجَلِـ

عَاتَبْتُ إِنْسَانَ عَيْنِي فِي تَسْرُعِهِ فَقَالَ لى : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِـ

و(الطرف): هو مآل بأحد السّوادين: السّواد الأعظم، والسّواد الأصغر. قال ابن مطرف:

« طرفُ العين تحرُّكُ أشْفارها » ويقال : طَرَفَةٌ عَيْنٍ ، والعَيْنُ المطروفة منه مأخوذٌ ، وهو أن يُصِيب سوادها شئٌ فيتأذى صاحبُها به ، وربما أبطلها . وهى « الطَّرَفَةُ » قال الشيخ علاء الدين الوداعى :

كَمْ دَمَاءٌ مَطْلُولَةٌ فِي هَوَاهُ وَبِهَا وَرَدُ خَدَّهِ مَطْلُولُ

وَحَدِيثٌ مِنَ السَّقَامِ صَحِيحٌ قَدْ رَوَاهُ عَنْ طَرَفِهِ مَكْحُولُ

و (القَبْلُ) هو مِيلُ الحَدَقَةِ فى النَّظَرِ إِلَى الأنفِ . وَأَنشَدَ الثَّمَالِي وقد استحسنه فى « فقه اللغة » له - قَوْلَ ذى الرِّمَّةِ :

أَشْتَهَى فى الطَّلَّةِ القَبْلَا لَا كَثِيرًا يَشْبَهُ الحَوَلَا

وقال جرير :

وَمَا زَالَتِ القَتْلَى تَمِجُّ دَمَاءَهَا بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَاءِ دَجَلَةٍ (أَشْكَلُ)

وقول علاء الدين البديوى :

أَنَا جَدُّ أَنْصَارِ النَّبِيِّ لِأَنِّى يَا أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ عَبْدُ (الْأَثْمَلِ)

وَأَنشَدَنِى المولى أَبُو الفَتْحِ مُحَمَّدُ الرِّسَامُ الأَزْهَرى :

رَنْتَ رَمَتٌ فَأَصَابَتْ قَلْبِي ، وَأَذَكْتَ لَهْيِيهِ

فَهُوَ المَصَابُ بَعَيْنِ (شَهْلَاءُ) وَهَى المُصِيبَةِ

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وَأَعْيِدْ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ يَمِجُّبْنِى كَأَنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ عَلَى شَرْطِى

أَجْفَانُهُ السُّودُ مَا تُخْطِى إِذَا رَشَقَتْ سَهَامَهَا ، وَسَهَامُ اللَّيْلِ مَا تُخْطِى

وقال علاء الدين الوداعي :

رَمْتَنِي سَوْدُ عَيْنِيهِ فَأَصْمَتَنِي ، وَلَمْ تَبْطِي
وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ بَدْعٍ سِهَامُ اللَّيْلِ مَا تُخْطِي

وقال شهاب الدين الزعفريني :

مَلِيكَ عَلَى الْعِشَاقِ ، سَكَرَانُ طَرَفُهُ
شَكُوتُ إِلَيْهِ أَسْرَ قَلْبِي فِي الْهَوَى
فَلَا عَجَبٌ لِلْحَظِّ مِنْهُ يُمَرِّدُ
فَوَقَعَ لِي : سِحْرُ الْجَفُونِ يُخْلِدُ

وقال بشار بن برد :

يَا مَنْ بَرِيقَ رَيْقِهِ يَحْيِي الْوَرَى
مِنْ سِحْرِ عَيْنَيْكَ الْمَهَاةَ تَعْلَمْتُ
وَبَسَحَرِ عَيْنِيهِ النَّوَاعِسُ تُقْبَلُ
وَكَذَلِكَ الْغَزْلَانُ مِنْهَا تَنْزِلُ

وقال ابن عباد :

وَنَظَرُنْ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ
مَرَضَى يُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحُ
وَلَهُ أَيْضًا :

وَسَنَانُ قَدْ خَدَعَ النَّعَاسُ جُفُونَهُ
مَذْغُضٌ طَرَفًا بِالْحِيَاءِ فَإِنِّي
فَخَكِي بِمُقَلَّتِهِ ذُبُولَ التَّرْجِسِ
مَنْهُ اسْتَحْيَتْ بَأْنَ أَقْبَلُ مُؤْنَسَى

وقال الفرزى :

كَأَنَّمَا سَوَادُ عَيْنِ مُنَيَّتِي
لَا تُنْكِرُوا مِقَالَتِي تَجَاهِلًا
كَمَنْبَرٍ يَا أَنْفُسَا لَوَامَهُ
مَعَ عِلْمِكُمْ بِأَنَّهَا لَوَامَهُ

وقال الشهاب بن القطان :

شَاقَنِي (مَارَسُ) فُؤُولِ
وَابْتَغَى التَّعْرِيصَ ، قُلْنَا :
زَهْرُهُ حَاكِي عُيُونِكَ
لَعَنَ اللَّهُ قُرُونَكَ

آفة النظر وغائلته :

وكنت إذا أرسلت طرفك زائراً
لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيت الذى لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر
ولأبى العباس الصينى :

قم فاسقنى بين خفق الدأى والمود
كأساً إذا أبصرت فى القوم محشماً
نجم الشهود وخفق المود خاطبنا
ولا تبع طيب موجود بمفقود
قال السرور له قم غير مطرود
نزوج ابن سحاب بنت عنقود
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفونى
فقد أعتقت من رقّ السهادِ
ويا عيني لك البشرى فنامى
وتهنيك السلامة يا فؤادى
رغبت عن الهوى وهربت منه
إليك وكنت دهرى فى جهادِ
وله أيضاً :

سقتنى لثروى الراح روحاً وحققّت
موااعيدها ذات الوشاح بإنجازِ
على زجس حيّ به فكأثّها
أناملها انضمت على حدق البازِ
وله أيضاً :

إذا ضاق صدرى وخفت المدا
تمثّلت بيتاً بحالى يليق
فبالله نبلىع ما زرتجى
وبالله ندفع ما لا نطيق
وله أيضاً :

ينيب البدر يوماً ثمّ يبدو
فمالك غبت عن عيني ثلاثاً
إذا لم تطلع الإثنين عصراً
فلست بواجدى يوم الثلاثاً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الظباء وصادنى
ظيٌّ وعمدى بالظباء تصادُ
تقدت لوحظه إلى بأسهم
أغراضها الأرواح والأجسادُ

وله أيضا :

صَبَّ المِداد وما تَعَمَّدَ صَبَّه
يا من يُوَثِّرُ حَبْرَهُ في ثوبِنا
فتورّد الخد البديع الأزهرُ
تأثير لحظك في فؤادى أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيئاً يستفيد به
فليَنظُرُنْ إلى ما فوقه أدباً
في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
ولينظرون إلى من دونَه مالا

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رَمَق
وإنّما سَلَمَتْ منها بقيّتها
وقد أذابَتْ هموم النفس أكثرها
لأنّها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حلّ بي عجب عَاجِب
رأيت الهلال على وجه من
تقاصر وصفى عن كنهه
وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن غبت عن ناظري فأنتم
والظنّ أن لا تخون عهدي
في القلب يا غاية التمتي
لا خيب الله فيك ظنّي

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان^(١) :

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هندًا بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر يفتنى به . فلما فارقت زوجها الفاكه بن المغيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه أنه تزوج هندًا .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالًا وشعرًا وسخاءً ، وقد عشق هندًا وعشقتة ، فأنهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافرًا قال في ذلك :

ألا إن هندًا أصبحت منك تحرمًا وأصبحت من أدنى حموتها رحي
وأصبحت كالقصور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوسًا وأسهما

حكمة التعمّد في الإسلام^(٢) :

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لُتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجد يذكّر المؤمنين إلّا ومعهم المؤمنات ،

ولا المسلمين إِلَّا ومعهم المسلمات ، ولا الصَّائِغِينَ إِلَّا ومعهم الصَّائِغَات . قال تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيًّا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِغِينَ وَالصَّائِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيقف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرٍّ ورقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أيتها امرأة غاب عنها زوجها فحفظت غيبته في نفسها ، وطرحت زينتها ، وقيدت رجلها ، وأقامت الصلاة ؛ فإنها تحشر يوم القيامة عذراء طفلة ، فإن كان زوجها مؤمنًا فهو زوجها في الجنة ، وإن لم يكن زوجها مؤمنًا زوجها الله من الشهداء » . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلا عن اتصافه بالفضل ، أن يضيق عمل عامل ، أو يحرم الراجي فضله الشامل ؟

وهنا تمرّض مستشرق إنكليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوربا بقولك لأحبين دين الإسلام ، لكن ربما يمنعن من شيء آخر أشقّ عليهن من كل شيء ، وأضر . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لتعدد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كل ما علموه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج التعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدّد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدّد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلاً عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متديّنين بدين النصرانيّة. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشرير وداغوير الأول ثلاث زوجات، ولمّ داغوير، وهو فلودمير أربع زوجات في آنٍ واحدٍ .

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غريغور الثالث إلى الواعظ بدسقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنّعها عن القيام بحقوق الزّوج، جاز له أن أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للمصاوبة مؤنّها الضّروريّة » .

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدّد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهيّ لمّا ميز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعذار المعتادة للنساء في أوقات معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك .

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من المفسد. فقد أتى زمن يمنّع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنّة ونحو ذلك .

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة مظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلّ بشرف الإنسانيّة .

فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلّا إذا علم الزّوج منها خلاف ما كان يعدّ، على أنه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجِدِ الهجر ضربها، بشرط ألا يضرّ بها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهنّ مذموماً ، وصير من عاقبن على كل ما فرط منهنّ ملوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .
وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احمِلوا النساء على أخلاقهنّ » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبيّ ، فإذا طُلِبَ ما عنده وَجِدَ رَجُلًا .

وقال بعض الصحابة للنبيّ صلى الله عليه وسلم : « ما حقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ . قال : أن تُطِيعَ ما إذا طُيعت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبَّح ، ولا تهجر ، إلّا في البيت » . ومعنى لا تُقَبَّح : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قَبَّحَكَ اللهُ ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثيرٌ مما يَعْظُم أمر النساء ويوجب رعايتهنّ والمبادرة إلى القيام بحقوقهنّ . وهل حرية النساء إلّا أن يبلغن حقوقهنّ على أزواجهنّ ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهنّ من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبلُ العقلُ المنزّه عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهنّ وما اشتبهن ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهنّ وأهوائهنّ على عقولهنّ .

المرأة التي تزوج عليها زوجها :

في « سبحة المرجان ^(١) » أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خَبَرُوهَا بِأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ فَظَلَّتْ تَكْتُمُ الْغَيْظَ سِرًّا
ثُمَّ قَالَتْ لِأَخْتِهَا ، وَلِأُخْرَى : لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلْسَرِّ سِتْرًا
مَالِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعِظَايَ أَخَالَ فِيهِنَّ فِتْرًا

(١) سبحة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها :

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لثلاث يعرف بها .

قال أبو ريش : كان الرجل إذا عُرف بمحبِّ امرأةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها^(٢) :

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العَيْنين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .
وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إنَّك لجميل يا أبا صفوان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برُئسه ولا عموده . إنَّ رداءه البياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا ربَّعة ، وبرُئسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولي : إنَّك مليح ظريف .

ورُوي أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضی الله عنها - لتنظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشعرت منه كلّ شعرة في جسدك .

وقالت عائشة - رضی الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحّاك لأوّل مرة : والله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - من النيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده .
أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرية حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكّة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنّه لا يكره النظر إلى الإماء .
وجاز أن يكون نظره إليها لأنّه نوى تزوّجها .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
فَصَعَّدَ فِيهَا النَّظَرَ ثُمَّ صَوَّبَ ثُمَّ أَنْكَحَهَا مِنْ غَيْرِهِ .
وَتَبَّتْ عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الرَّخْصَةَ فِي النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ نِكَاحِهَا .
وَقَالَ لِلْعَمِيرَةِ حِينَ شَاوَرَهُ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ : « لَوْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ يُؤَدِمَ
بَيْنَكَا » . وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمَةَ حِينَ أَرَادَ نِكَاحَ بَثِينَةَ بِنْتِ الضَّحَّاكِ .
وَقَدْ أَجَازَهُ مَالِكٌ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ . ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي زَيْدٍ .

وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ : « لَا حَرَجَ أَنْ يَنْظُرَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَرَادَ تَزَوُّجَهَا وَهِيَ
لَا تَشْمَرُ » .

وَفِي تَرَاجُمِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ قَبْلَ التَّزْوِيجِ أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - قَالَ لِعَامِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ
حَرِيرٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِكَ ، فَقَالَ لِي : هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَقُلْتُ : إِنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
يُبَيِّنُهُ ، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ حَسَنٌ . وَفِي قَوْلِهِ : إِنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَوْأَلٌ - لِأَنَّهُ رَوَاهُ وَحْيٌ ،
فَكَيْفَ يَشْكُ فِي أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . وَالْجَوَابُ : أَنَّهُ لَمْ يَشْكُ فِي صِحَّةِ الرَّوْيَا ، وَلَكِنْ
الرَّوْيَا قَدْ تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَقَدْ تَكُونُ لِمَنْ هُوَ نَظِيرُ الْمَرْءِ أَوْ سَمِيهِ فَمِنْ هَاهُنَا تَطَرَّقَ الشَّكُّ
مَا بَيْنَ أَنْ تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهَا ، أَوْ لَهَا تَأْوِيلٌ .

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا يَقُولُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ : لَا يَخْلُو نَظَرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَيْهَا
مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ ، أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ . وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ تَعَالَى :
« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » .

وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ بَغِيرُ شَكٍّ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَقُدُوةُ الْوَرَعِينَ . وَجَوِيرِيَّةُ
هِيَ بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ أَبِي ضَرَارٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ عَائِدٍ . وَتُوفِّيَتْ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ
وِخْمَسِينَ أَوْ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ .

رايات من خمر النساء^(١):

وجّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ وَالْيَا عَلَى الْبَصْرَةِ ، وقال له : يا عتبة ، إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهى حَوْمَةٌ من حَوَامَتِ العدوِّ ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، ويُعينك عليها . . فإذا قَدِمَ عليك العدوُّ ، فاستشره ، وادعُ إلى الله ، فمن أجابك فاقبلْ منه ، ومن أبى فالجزيةُ ، وإلا فالسَّيْفُ ، واتَّقِ الله فيما وليتَ ، وإيّاك أن تنازعَكَ نفسك إلى كِبَرٍ ممَّا يُفْسِدُ عليك إِمْرَتَكَ ، وقد صحبتَ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فَمُرِّزْتَ به بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وَقُوِّتَ به بَعْدَ الضَّعْفِ ، حتى صرتَ أميرًا مُسَلِّطًا ، وَمَلِكًا مُطَاعًا ، تقولُ فَيُسْمَعُ منك ، وتأمُرُ فَيُطَاعُ أَمْرُكَ ، فيألفها من نعمة ؛ فاحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وَلِهِيَ أَخَوْهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِكَ وَتُخَدِّعَكَ فَتَسْقُطَ سَقَطَةً تُصِيرُ بِهَا إِلَى جَهَنَّمَ ، أُعِيدُكَ بِاللَّهِ وَنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ . إِنَّ النَّاسَ أَسْرَعُوا إِلَى اللَّهِ حَتَّى رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَأَرَادُوهَا ، فَأَرَادَ اللَّهُ وَلَا تُرِدِ الدُّنْيَا . وَاتَّقِ مَصَارِعَ الظَّالِمِينَ . انطلق أنت ومن معك حتّى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم ، فأقيموا . فسار عُتْبَةُ ومن معه ، وأقام بِالْبَصْرَةِ ، ثم سار عتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس ، فاقتتل الفريقان .

وقال نساء المسلمين : لو لحقنا بهم فكنا معهم ، فَاتَّخَذْنَ مِنْ خُمْرِهِنَّ رَايَاتٍ ، وسرن إلى المسلمين ؛ فلما رأى المشركون الرايات ، ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ ، فانهمزوا ، وظفر بهم المسلمون !

(١) فى « الكامل » لابن الأثير .

كشف وجه المرأة في الإحرام :

قالت عائشة - رضى الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعن من المساجد .

وسئل عقيل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التغطية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالنض ليعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالتهى عن النقاب خاصة ، كما جاء النهى عن القفازين ، وعن لبس القميص والسر اويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء وأسافله بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كراأس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبदन الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مر بنا الركببان سدكت إحداًنا جلبابها على وجهها . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجمعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد .

ومن آثر الإنصافَ وسلكَ سَبِيلَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ تَبَيَّنَ لَهُ رَاجِحُ الْمَذَاهِبِ مِنْ مَرْجُوحِهَا ،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها^(١) :

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام ، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها .
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة ، والنعام تخفيها بريش ، ولا تبديها للشمس والريح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستملحة . كالدمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوَّجت ! :

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عمِّ لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذى تريدن بعدى والذى تضميرن يا أمَّ عُقْبَةَ
تحفظين من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلقي وصُحْبَةِ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجنِ غُرْبَةٍ

(١) في خزانة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالباً .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَجِيبُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَا أَجْمَلُنَّهُ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :

قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمِّ عَقْبَةَ
سَوْفَ أَبْكِيكَ مَاحِيَتُ بَنُو حِمْيَرٍ وَمَرَاثٍ أَقُولُهَا أَوْ بِنْدَبَةَ
فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَاقِعٌ بِكَ لَكِنْ احْتِيَاظًا أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ
بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَأْخِيزُ مِنْ عَوَى شَرِّ فَارَعِي حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْبَيْتَ دَفْكَوْنِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ
ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانُهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُكِّثْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبَتْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِحِيَّةٍ لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَزِعَاهُ حَتَّى نَلْتَقَى يَوْمَ نُحْشَرُ
وَإِنِّي لَفِي شَغْلٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بَعْدَ مَاتَ يَنْدُرُ
سَابِكِي عَلَيْهِ مَاحِيَتِ بَدْمَعِي تَجُولُ عَلَى الْخُدَيْنِ تَهْمِي فَهَمُرُ

فَلَمَّا تَطَاوَلَتِ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مِنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ .

فَأَجَابَتْ بَعْضُ خُطَّابِهَا فَعَقَدَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولَ بِهَا أَتَاهَا آتٌ

فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتُ وَلَمْ تَرَعِي لِبُعْلِكَ حَرَمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْمَهْدَا
وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَاظًا لِمَا فِيهِ حَلَفْتُ لَهُ بَقَاءً وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَا
غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْبِهِ كَذَلِكَ يُنْسَى كُلٌّ مِنْ سَكَنِ اللَّحْدَا

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
ذَلِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَبْيَاتَ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثِ لَيْسِنِيْنَهَا مَا هِيَ فِيهِ ،
فَتَفَقَّلَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذُبِحَتْ نَفْسُهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لَلَّهِ دَرْكٌ مَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانٍ
قَتَلْتَ نَفْسَكَ حُزْنًا يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ

وفيت من بعد ماقد همتِ بالعصيانِ
وذو المالِ غفورٌ لسقطه الإنسانِ
إنَّ الوفاءَ من اللّهِ لم يزل بمكانِ

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى :

قالت امرأة حاكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنجيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنا أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله ضرة عائشة هدمت قالت لمولاة عائشة يوماً : أريني مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أتجرد لها ولا تعلمها أنى عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تفتسل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضرتها فأخبرتها ، فأشرفت عليها وتأملتها مقبلة ومدبرة ؛ وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أتى أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قاعة ، دلالة على أنها لا تزوج بعده .
روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعي إلى حوائجك كلها ، واستظهري فإن عائشة بنت طلحة تحب معك ، فاستظهرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة قد اجتهدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها ، وكان هو ركب عائشة بنت طلحة !

(١) روضة الأعيان للتراجم ص ٤٣٨ .

القبلة وإباحتها^(١)

قالت طائفة من العلماء : القُبلة مَبَاحَةٌ لمن وصل إلى حدٍّ يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأنَّ تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقُبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولاخطر أعظم من خطر النفس ، حتَّى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أنَّ ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجُّوا بقول الله تعالى : « الذين يَحْتَنِبُونَ كِبَاءَ الإِثْمِ والفواحش إِلَّا اللِّمَمَ . . . » والحديث الذي يقول : يا رسول الله إني لقيت امرأةً أجنبية فأصبت منها كلَّ شيءٍ إِلَّا النِّكَاحَ ، قال : أصليتَ معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غَفَرَ لك . فأنزل الله تعالى : « وأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القُبلة من خدِّه فَنَتَّ قَلْبِي فَهُوَ مُفْتُونُ
لا تَحْشُ أَقْصَايَ وَلَا حَرَّهَا فَإِنَّمَا خَدُّكَ يَاقُوتُ

ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سَأَلْتُهَا رَشْفَ رِيْقٍ مُسْتَعْذِبَ الطَّعْمِ حَلْوَى
قَالَتْ : فَصْفَه ارْتِجَالًا فَقُلْتُ : بِمَدِّ التَّرْوَى

ولابن حجة :

وَعَاشِقُ أَزْمَ مَعشُوقِهِ قِبْلَةً فِي فِيهِ فِيهَا شِفَاءُ
وَلَمْ يَخَفْ مِنْ جَارِحِي لَحْظِهِ خَطْفًا وَقَدْ بَاسَ وَلَمْ يَخْطَفَاهُ

ولابن العطار :

جَمْتُ بِالرَّاحِ شَمْلِي فَاللَّهِ يَجْمَعُ شَمْلَكَ
وَكَمْ يَدُّ لَكَ عِنْدِي دَعْنِي أَقْبَلَ رَجْلَكَ

(١) المنتخبات الشعرية رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٨٧ .

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سألته قبله فجدد لي فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر :

سألته قبله الذبها فصداً عنى وقال سروالك
فقلت : لم سيدي ؟ فجاوبني : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروط على الخدة » :

بروحى مشروط على الخدة أسمر وفاودنا بمد التجنب والسخط
فقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فضلتنا ألفاً على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا

ولآخر عفا الله عنه :

قُبَات مبسمه فقال تذللاً عند اللقاء له ونحنُ صيامُ
أفطرت ياهذا ، فقلت له : ابتدا الصوم مع رؤيا الهلال حرامُ

وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ثواك في مثوى الحبيب وداره

محاسنُ الخلقِ والخلقِ^(١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أى عبادك أحب إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أنفض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحبّ الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديد عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجعله في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أردتم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي مليح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره كالشمس عند طلوعها بل أشرق
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى ليلاً ، وبثٌ بدمع عيني أشرق

وفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى لاح به أثر الصبابة لا يخُ
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضحُ

وقال له :

وجه يفوق الهلال حسناً ويُنجلُ البدر إن تجلّى
يقول في الحال من رآه أشهد أن لا مليح إلا

(١) الجزء رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٩٨ .

وقال آخر :

أحبُّ من الردان كلَّ مهفهِ
رشيقي المثنى لم يسر في خدّه الشعْرُ
فأما إذا ما الشعْرُ في خدّه بدا
فلا خير في اللذات من دونها السّترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح
ثمَّ لاموا من افتتنَ
لو أرادوا جنايتي
حجبوا وجهك الحسنَ

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبتُ له روحى فعذبها
ورمتُ تخلصها منه فلم أطق
أدرك بقيّة نفس فيك قد بلغت
قبل الماتِ فهذا آخر الرّمق
ولابن الخطيب في « الحسن » :

الدُّرُّ فوق جبينه يتوقّدُ
كتب الهوى بيد إليه يؤكّد
وله أيضاً :

جفون معذبى يعلّنه
مئى وإن وداده تكليفُ
لكننى لم أنا عنه لأنه
خبرٌ رواه الجفن وهو ضعيفُ
ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بي سقام من جفون
قد جفونى لست أبرا
وعيون فاتكات
من سيوف الهند أبرا

ولآخر :

كأنّ مقاتله صاد ، وحاجبه
فصرت أعبد منه فى الهوى صنماً
نون وموضع تقبيلاته ميم
ولآخر - فى الميون :

يا من يشبه نرجساً بنواظر
دعج تدبّه إنَّ فهمك راقد
أين القياس لمن يصحّ قياسه
بين الميون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وظيُّ إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدّت سوائها
وإن كان جبل الجفا سودّ معارفها
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتهى بحبيبي ألف ناقة سود
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود
وفي من عينه زرقاء :

بمينه الزرقاء
واعجباً أحبه
في قلبي سهم مطلق
وهو العدو الأزرق

وفي أحول :

قالوا سُغت بأحول فأجبتهم
لأتحسبوا حولانه .. لكنّه

وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً

وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بمدك قد عادت مدامعه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني

وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا
يمشي بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثفري إنّه
يازيد خذ منه الحديث فإنّه
ذو قرقف داء المحبة دافع
حسنٌ رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفي حابر في جماله
وعريننه أقتى أئتمّ وطرفه
وفي لجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - في كلام معذبي
إنّ الذي ينسى الكلام لسانه

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو عاينت عيناك حسن معذبي
عين الرشا ، قدّ القما ، ردف الفقا

ولابن مبارك :

يا أيّها العشاق قد جاءكم
أجيدٌ إتلافٌ روح امرئ

وقال آخر - في من بيده مديّة :

وشادنٌ في يده مديّة
ما كان محتاجاً إلى حملها

ولأبي نواس - في أحور ساحر العيفين :

ويلي على أحورٍ ممكورٍ
تختاره الحورُ علينا كما

وفي من ييكى ! :

يا قرّاً أبصرتُ في مآتم
لا تبكٍ للميتِ ياسيدي

يندبُ شجواً بين أثواب
وابكٍ قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرأة :

وإذا أراد بأن ينزه طرفه
أخذ المرأة بكفه فتفرجاً
فكانه وكأنها في كفه
شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة
يا من له وجه كبدر الدجى
من رام عنها الصبر لم يقدر
بكم تبس القوس للمشتري ؟

وللأزميري في رام :

بأبي وأمي رامياً يسبي الحشا
لما أراد اطلاق سهم رامياً
بلوا حظ تسطو على المشاق
زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رى عن قوسه في الطير سهماً
وفوق نحو قلبى سهم طرف
على عجل ولم يعجل رويدا
فلم يخطئ بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه
كان من أبداع في خلقه
مستخرج في الرمل أشكاله
يزدحم الناس على رمله
قد خلق العشاق من أجله
وما يريدون سوى شكله

ولابن الوردي في ذلك :

حكي القضيبي والقنا
وقال وصلى غفلة
بالرمل إلا بفيض داخل
والأنامل

وقال في منجم :

ورب منجم قد صد عني
فقلت عساك ترجع عن قريب
ولى أبداً بطلعه ولوع
فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن الزَّيْنِ في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه والحرب فيما بينهم تسائرُ
قال على ما اقتتلوا هكذا قلت على عَيْنِكَ يَا تاجرُ
وللأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمنح عشاقه مالا ووصلاً ليري نادره
ما ردَّ يوماً منها زائراً لأنه متَّسع الدايـره
وله في شاعر :

لا تمذلوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرِّ يا رفاق
فهو البديع حسنه لكنه يميل للترصيع في الطباقي
ولآخر في الخلد :

بدًا في الخلد عارضه فاضحى عليه مفيض باللوم يُنْزِى
وحاول أن يرى متى سُلوًا فقال : لقد تعذّر . قلت : صَبْرِي
ولآخر ... اقتباس - في مَنْ في خدّه عذار :

رأيتُ في خدّه عذاراً خلعت في حبه عذارى
قد كتّبت الحسنُ فيه سطرًا ويوجُّ الليل في النهار
ولابن المعتز في ذمه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن قدح من طول هجرته
فاشف السقام الذي في جفن مقلته واستر محاسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن - وقد تغت معاني وجهك الحسن
وكان يمرض عني حين أبصره فصرت أعرضُ عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لما التحى ومعا الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلةٍ وتقاق
كتب الزمان بخطه في خدّه هذا جزاء معذب المشاق

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه
على وجهه أضحي بخطي عذاره
فأصبح من بعد التثعم في ضنك
تناديهما عيناه حزناً : قفانبك
ولآخر ... اقتباس :

قتل الناس بالواظ حتى
طلعت ذقنه وعيناه كَلَّتْ
أذهب الله حسنه والجمالاً
وكفى الله المؤمنين القتالاً
وآخر .. مثله :

لما بدا في خده عارض
وقلت غدا عارض ممطر
بشرت قلبي بالسوء المقيم
فجاءني منه عذاب أليم
وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
وأباعد السواد ضوء نهاري
كل من مات سوداً وباب داره
ولابن نباتة :

وأمرد مقته ربه
أرسله الله لنا آية
بدله بعض الضيا بالظلم
ليعلموا كيف زوال النعم
وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فياله حسن وجه
حتى غدا وهو حار
دارت عليه الدوائر
وقال آخر :

وخلصني من يدى عشقه
كنست فؤادي من حسنه
ظلام على خده حنوده
ولحيته كانت المكنسه
وقال آخر . والله درّ قائله :

ما فعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه
ولا بصاد ولا ثمود
ما فعل الشعر بالحدود

ما قيل في الأسماء^(١) :

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أنى قتيل عيونك النُّجَلِ
فقت الملاح فأنت خاتمها وكذا سميك خاتم الرُّسُلِ
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو تثبت كان أجود
فأجبت إني مسلمٌ أرجو الشفاعة من محمد
ولابن المفيف :

أيها المودّع قلبي نار وجد تنوّد
كيف تستأهل ناراً مهجة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن بعد يرضى لشفاه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى ولهب الشوق أحمد
فأنا في كل حالٍ أشكر الله وأحمد
آخر والله درقائه :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة أظنى بها ناري التي لا تحمد
قالوا فمن شئت تحبُّ؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تمشقت ظبياً فاتن اللحظ فارّاً أبو بكر يدعى خليفة طالع البدر
فلا تنكروا وجدى فأني محمد وإني من أولى الورى بأبي بكر

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتي
له طلعة كالبدر والنصن قدّه
والحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له
ولا بدع إذ بالفت فى مدحه إذّا
ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :

منّ حبيبي ووفّا
ولا عجبياً من أبى
وعدّا له وحققه
بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم فى الهوى إذ نظروا
أبدلوا قافك عيناً غلطاً
حين سمّوك وقالوا : عمر
أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلى بشمعتين ووجهه
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى
بضياؤه يزهر على القمرين
فأجابنى عثمان ذو النورين
لغز فى عثمان :

يا أيها العارف فى فنّه
ما قولكم فى أحرف خمسة
ومدّعى الفهم وعلم البيان
إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى على :

قال المذول مذ رأى
عن فتنت فى الورى ؟
قلبي به فى شغل
فقلت دعنى بعلى

وله عفا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى
وإذا ما غاب عنى شخصه
وبه قلبي المعنى قد بلى
صاح قلبي وحشة بالعلمى

ولابن حجر الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لى من دوا
قالوا سلوى كل حبّ
قد غدا قلبى عليلاً
قلت إلّا عن على لا

وللحجازى فى عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوى
فى هواه حقاً لقد طاب ذلى
شرح حالى أغنى عن التميز
حيث أصبحت عبد عبد العزيز
وللازهرى فى عبد القادر :

حبّى عبد القادر الذى له
وكيف لا أريده بين الورى
بهجة حسن والورى عبیده
والله يدرى أننى أريده
لنر فى عبد الله :

اسم من أهواه ياسيدى
وأخو الورد تمام اسمه
فيه من العنبر حرفان
وواحد ليس له ثان
وفى عبد القوى :

عبد القوى سباني بقده السمهري
وصرت عبداً ضعيفاً فى حبّ عبد القوى
وفى عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذى
ولا عجب إن بدا لطفه
فطائته أسكنته الفؤاد
فعبد اللطيف لطيف العباد
وفى عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندى
لا تحتشى من ضياع
قد أنجح الله قصده
فالله يحفظ عبده
وفى محمود :

يقول لى منكر حالى به
فقلت لا تسل بحق الهوى
من لك فى ذا الحى مقصود
عنه فقصدى فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجي إلى زمن يسبنى فيه كلب وهو محمود

وفى إبراهيم :

عجبت لنار قلبي كيف تبقى حرارتها وحبك تحتويه
فيا نيرانه كوني سلاماً ورداً إن إبراهيم فيه

وفيه أيضاً :

لا زال بابك للمسكام كمةً فُتِرى بها للواردين رسوم
حتى يقول القاصدون بأمرهم هذا المقام وأنت إبراهيم

ولابن نباتة فى خليل :

ينيب خليل الحسن عنى ليلة وكيف يطيب العيش عندى والكرى
فأسأم من ليل طويل أراقبه وليس إلى جنبى خليلاً ألاعبه

ولمزددين الموصلى :

قال حَبِّى خليل غيّرت ودّى وتركت الفؤاد مَنّى عليلاً
بعد عشق الملاح صرت تقيّاً ما تراعى من الأنام خليلاً

وقال فى يعقوب :

يعقوب إنّى يوسف قد تركتنى من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفاً
وأصبحتُ مخذولاً وقد كنت ناصراً وكفت مليكاً صرت عبداً مكلفاً

ولابن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لاثماً مبسمك الشافى آلامى
يوسف انبينا بتأويله فقال هى أضغات أحلامى

لننزه فيه .. وأجاد :

يا سائل عن اسم من أحببته إنّى بمن أهواه غير مصرح
فاذا أردت بيانه فاعمد إلى معكوس سابع كلمة فى « سَبَّحْ »

وفي موسى :

رأيت في خلق غزالا تحير في وصفه الميون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تحلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ أحشاؤه قد أحرقت نهاكا
عيسى بن مريم كان يحبي من يرى وتميت أنت الحى حين يراكا

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب إذا داود لأن له الحديد

وفيه أيضا :

أسمى يقرّ بحسنه بدر الدجى وغدا يذوب بحسنه الجلود
فإذا بدا فكأتما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة يكاد بها ماء الشبية ينهل
فهذا سليمان لركة خده إذا دبّ فيه النمل كلمه النمل

في خضر :

مفهف طلعتة ليس بها مناظره وقده غصن نضر
يجرى لنا ماء الحياة وثفره لا تعجبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرم على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب
وفي القلب من شعبان نيران نصفه فجدلى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أسمى يهزّ معاطفاً أبدت حلاوة خصره مع ردفه
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة شعبان كلّ حلاوة في نصفه

على بن سودون - في بركات :

رشاً يصيد الأسد في اللفعات قد صاد كل فتى وكل فتاة
الوجه منه مبارك فإذا بدا لا تأسن يا قلب من بركات

ابن القيصراني في منصور :

يا قر الوصل في جنة ما سكنت ولدانها الحور
كم حاربتك الشمس في حسنها وأنت يا منصور منصور

النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني من وصله كل ما أهوى وأختار
حتى رمانى في نيران مهجته فصحّ عندي أن النجم غرار

وله في سعد :

أنا قد همت بسعد وتفايت بوجدته
فاطرح نصحي ودعني إنما المرء بسعده

وله في سعيد :

مما منى مهجتي سعيداً ولى شقاء به يزيد
إذا اجتمعنا يقول صدرى هذا شقيّ وذو سعيد

وله في قاسم :

شكوت له حالى وفطر صبابتي فتاه دلالاً واثنى وهو باسم
وقال استمر صبرى وكن متأسياً فنحن قسمنا وارض بالحب قاسم

ابن العطار في يحيى :

أيمكن سلوتى يحيى ؟ وروحي تكابد فى هواه عليه أشيا
وقلبى يشتهى فيه اكتئابى ويرضى أن أموت بحب يحيى

وله في هاشم :

فى هاشم قلبى بدا دايماً من لحظه الفاتك بالعالم
وكسر قلبى صحّ فى عشقه لقلّة الإنصاف فى هاشم

وله في عامر :

حبيبي يدعى في الأنام بمامر
يهتد قلبي بالصدود وباللحفا
وأول عشق ليس لي فيه آخر
على أن فيه منزل الشوق عامر

وله في فرج :

وليس لي غلص أرجو النجاة به
لكن أضمن بيت القائل بن رجا
من الغامر فقد ضاقت بي الحجج
كلّ الأمور وإن ضاقت لها فرج

آخر :

يا لائمي في رشيقي القدر معتدل
أشكو الشدائد من وجدٍ أكابده
انظر فإن غرامي غير ذي عوج
ولست أياس في شكواي من فرج
للحجاج في أمير حاج :

منعت بزورة للعيد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج
لك الرحمن بالحسنى يجازى
فلا بدع بحبك للحجّازي
ولا بن نباتة في عماد :

قالوا	المعاد	مليح	أسبي	جميع	المباد
بحسنه	قلت	قصدي	أنظر	لذات	المعاد

لمزّ الدين الموصلي في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي
صدته فامتلا فؤادي شحماً
فاق حسناً ولم أعره شهادة
لا تقولوا بأن صيدى جراده

لابن نباتة في إلياس :

أفدى مليحاً في البرايا لم أزل
قالوا أقطعه كبيراً قلت من
طول الزمان عليه في وسواس
راحت قلب الرء قطع إلياس

لغز في إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف
عيل صبرى تمام اسم حبيبي
نصفها ما تبديت فاستهموها
ما على الماين لو فهموها

لابن الصايغ، في حسن :

إن الحسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى على بالحسن

وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
رمانى بسهم اللحظ قلت له اتشد
وقامته كالخيزرانة تنثنى
سميك مقتول وأنت قتلتنى

وفي بدر :

سموه بدرأ وذاك لما
وأجمع الناس إذ رأوه
أن فاق في حسنه وعمّا
بأنه اسم على مسمى

وفي كمال الدين :

دينى تكمل مذ جُعلتم قبلتى
وغدوت أنشد فى البرية كلّها
وسجدت فى أعتابكم بجيبنى
ما الفخر إلا فى كمال الدين

فى عزّ الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقةً حسنت حالتى
مادحه ما زال فى عزّ
والذلّ قد بدّل بالعرّ

فى تاج الدّين :

بيابك تاج الدين قد جيئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدى
جراهر لفظ لم ينلنى تاجر
وفى التاج أبهى ما يكون الجواهر

الشهاب الصائم، فى محبّ الدّين :

فى ملاح لك شتى
كم ليالٍ مع غزال
ضعف القاب وشتا
يا محبّ الدين بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

السيادة	يرجّون	الدين	شرف	لقبوه
وزيادة	وهو	خير	منه	يرجى
شرف				كيف

في زيتون يهجو فيه :

لو أنصفوا سمّوك	زعرورا
وأنت لا زيت ولا نورا	لأن للزيتون زيت يضي

في يونس :

حكي البدر وجهها قلت بل هو أملس	وقالوا حبيب القلب بدرّ وقده
ولو لم يكن بدرّاً لما كان يونس	فلو لم يكن غصنا لما كان مائلاً

آخر، وأجاد:

له مقلة سوداء والخذّ أطلس	شفنت بفتان اللواظ أهيف
فيوحشني والحب في القلب يونس	فإن غاب عن عيني تصورت شخصه

في مقبل :

ما زال عنه كلّ يوم يسأل	يامن تحجب عن محبّ صادق
ويقال لي هذا حبيبك مقبل	من لي بيوم فيه يسمح باللقا

في شاهين :

خطف القلوب وبالألحاظ شاهينا	يامن تسمّى بشاهين وسيمته
فهل ترى أنت يا شاهين شاهينا	قد اشتهاك بالشاهين لا تقسا

في عنبر :

وعرف رياه قد تعطر	مذ رآني عنبر حبيبي
وشاقني من شذاه عنبر	أرشفني من لاه خمرأ

في بشير :

كبر	وجا	مبهجتى	سبا	بشير
بشير	والواصل	بالرضا	جاد	وقد

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحبّ سنبل
وقد فاق ريتاً نشره كلّ مندل
أهذا شذا مسك توضع نشره
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا
ووجهه حفّ من سنا النور
شاهدت من خاله بوجنته
نقطة مسك تبدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافتك زائراً
وقد بت بالصباية ماسوراً
فقلت لهم قد زال همي بوصله
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، والله درّه :

فديت ريحان صبا بالجوی
وبعاد قلبي شفه الأشجان
لما رنا بلحاظه من نرجس
وبدا يعارض خدّه ريحان
في صبيح، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
وصير الدمع بخدّ يسبح
فكيف لي بالصبر عن حبه
وقد سبي قلبي بوجه صبيح
في مبارك :

مبارك يا عذولي
أطلت فيه مقالك
لو زارني كنت أحظى
منه بكعب مبارك
في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج
عساك بالوصل منه تبهج
وربما تبلغ المراد وكم
قد جاء عند الضيق الفرج

ما قيل في المهن والحرف :

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدًا وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخاتق :

تسلطن في الملاح بخاتق ولم يرض ييدر التّم نايب
وصفّ له من الأتراك جنّدًا وأصبح موكبًا تحت العصاب

في حباك :

يا مليحًا مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحبك صنعته قلت هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحجم في الكاس أجرى دما من ساق ساقينا بإشفاق
لكنّه خالف في شرطه فحكم الكاس على الساق

في حریری :

حریری يبيع الحسن لكن شبيه الفصن والبدر النير
كسى جسمی السقام ولا عجيب لثوب السقم من هذا الحریری

وما أحسن من قال ما ينسج على تكة .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفتحُ إلّا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تمشّقت حدادًا بديع ملاحه له طاعة في الحسن تعلو وتشمخ
إذا رمت بالطريق وصلًا بقربه أراه ستر الغيظ ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته فى خصره دنف والرّدف منقوش
والدمع سكب وأحشائى تقوضه واتخذ منى بماء الدمع مرشوش
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى أنا للحسن معدن
سهم عيني مسبر وعدوى مكفن

وللصفدى فيه أيضاً :

إن هذا الصّبى الحلاوى أضحى يتجنّى على الكئيب ويحقد
لا تعارضه فى هواه بشكوى دعه فى دسسته يحل ويعقد

فى حوايجى :

حوايجى أتيت أسأله قلت له يا أخا الرضا صف لى
فى عنق دمل به ورم قال يداوى برهم النخل

لابن الوردى، فى خياط :

لما أتى والمقصّ فى يده ... وفصل العاتقين والبدنا
فقال وصلّا يعوز قلت له العايز الوصل يا مليح أنا

وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكي البدر طلعة وشا كل غصن البان لما اثنى قدّا
يقدّ ويفرى الثوب ثم يخطه فلم ثوب قلبي لا يحاط وقد قدّا
وللازميرى فيه أيضاً :

لله خياط إذا سأله وصلّا أراه جا بالمطلوب
وإن شكوت غمّتى لردفه فرجها بالوصل والركوب

فى ذهبى :

عشقته ذهبىّ اللون طلعتنه أبهى من البدر بل أبهى من الشهب
إن مات طبعاً إليه ليس ذا عجب فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعوه للعطاب
ألم ترني على شغفي أحبّ الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبدى عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن الفدى إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدر الدجى وثمره كالدرّ إذا تبسم
قلت له صلني ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كلّ ثوب يا بنية النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترفى ما فرق الهجر من فؤادى

والصفدي فيه أيضاً :

ورفا له وجهٌ مليحٌ محاسنه البديعة ليس تخفى
شملت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يعد زرفاً

في بياع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارني وبكاس فيه لماً سقاني
لما نظرت إلى شقايق خده سلب الفؤاد عذاره الريحان

والصفدي في سكرى :

سبنتي صفات السكرى الذى له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ في سنينات مبسم وأحمر خدّ في نبات عذارٍ

ولا بن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفنى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبّاك :

سبّاك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :
فتنت به سروجياً بديعاً
إذا جذب النرام له عناني
في سقا :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
ولأزميري فيه أيضاً :

عشقت سقا كالزلال رضابه
يروي المبرد عن لاه كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحجة، في شرابي :
سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خدّ جر لا لبيب
مواليا في صابوني :

حبّيت أهيف رقيق الخصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه
وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتى أقبل فاه كلما تقخا

وله أيضاً في طيب :

طبيب يحاكي الفصن في حركاته
عجباً له يبرى السقام بلطفه
أصيرّ روحى فى هواه سبيلاً
وبطرفه يدعى السقام عليلاً
وله فى طحان :

لله طحان تبدى وجهه
وجناته ماء ولكن قلبه
قرأ له قمر السماء رقيق
حجر وأما خصره فدقيق
وله أيضاً فى عطار :

قلت لمطار به صبوتى
أسقيتنى كأس غراى به
محمودة والصبر لا يستطاب
ذبت ومن فىك برانى الشراب
وفى ملىح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً
فقلت له أعندك ماء ورد ؟
وجدت بجنبه ظبياً رمانى
فقال : نعم ، وعندى ما لسانى
ولابن الفرس ، وأجاد ، فى عوام :

يا حسن عوام كفنصن النقا
ويقنع العشاق منه بأن
ويخل بالوصل لمن هاما
يريهم الأرداف إن عاما
وقال آخر ، وأجاد ، فى فاخران :

سباني فاخران بديع حسن
فهمت من الغرام له بحب
رمى فى القلب بالبحران جره
وقصدى منه أن أحظى بجره
وفى قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى
فدلّ بحسنه تيهاً ونادى
بقبّانٍ ودمع العين سائل
إشارات الحب لها دلائل
وللسيد محمد رضوان الرعاد - فى قصّاص :

أشكو إلى الله قصّاصاً يجرّ عني
إن تحسن القصّ ينام فقلته
بالصد والهجر أنواعاً من القصص
أيضاً قصّ علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

ربح محبة لم يزل قلبه
من طاب التسريح من حبه
من بايع الكتان من ربط
سرحه لكن على المشط
ولا بن الوردى - في كفتى :

لا أرى من محبة لى مخرجاً
مذ تبدى فى حديد فحكى
لى كفتى نيبانى حسنه
ولا بن العفيف - فى كوانى :

اسم حبيبى وما يعانى
قالوا على فقلت قدر
قد أظهر ا لوعتى ولبي
قالوا كوانى فقلت قلبى
وقال آخر ، فى ملىح مكحول :

يا أيها الرشا المكحول ناظره
إن انماسك فى التيار حقق أن
بالسحر حسبك قد أحرقت أحشائى
الشمس تغرب فى عين من الماء
ولا بن الوردى ، فى مزين :

بأبى شادف تملك روحى
مسك الكلبتين قلت عجيب
و لأبى الفضل بن أبى الوفا ، فى مجبر :

أحييت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبى كسير بالجوى
حسن الشائل شبه ظبي أحورى
فاسمح وكن بالوصل منك مجبرى

ولا بن الوردى ، فى مياميزى :

صاح هذا المياميزى عارضه
وجاد بالوصل لى يوماً رفست على
بالحسن أصبح أرقم وتطريزى
أكباد من لام فيه بالمياميزى
ولآخر - لبايح الفخار :

بايح الفخار بدر
ما الذى تبغيه مئى
قال للعاشق جهره
قال قصدى ألف جره

وفي ملالي :

ملالي المراق نوى حجازا به العشاق وجداً قد أمالا
إذا سألوا وداعاً لم يجبههم بلا إيه ولا نعم ولا لا
وقال ابن عربي ، في ناتف :

وقالوا دع المحبوب وأهجره دائماً ألم تره بعد الملاحه ينتف
أينتف من أجل ويحب نفسه وأهجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردي ، في نطاع :

هويت نطاعاً إذا جيته بادرني باللحظ والصنع
أروم أن أحظى بوصله وقد قابلي بالسيف والنطع
وللسراج الوراق ، في وراق :

يا حسن وراق أرى خده قد راق في التقبيل عندى ورق
تميس في الدكان أعطاه ما أحسن الأغصان بين الورق
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فتنت بحسن وراق تقور بقباب الصب نار البحر أصلاً
صقيل الوجه كم ذرح لديه وبفضب إن طلبنا منه وصلاً
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، في وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع أنزلته برضى الغرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل إن ملت نحو الكوكب الوقادِ
وللصفدى ، في قطان :

قطاننا مرفهف تعتله أردافه
ناديت من وجدى به ياليتنى ندافه

وله في بيع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى يوماً لكان بوصله يشفينى
لما نظرت إلى رياض حدوده سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله، في بيع نرجس :

بالروح أمدى فوجيا خده
لما دنا ونظرت روض جماله
ورد وآس عذاره كالسندس
نزّهت طرفي في عيون النرجس

وله، في بيع بنفسج :

سبا بنفسجنا
لما بدا في خده
بحسنه قلبي الشجي
عذاره البنفسجي

وله، في بيع تفاح :

لله من بيع تفاح إذا
لما نظرت لحسن نرجس كفه
غلبني بحسن جبينه الوضاح
هام الفؤاد بخده التفاح

وله، في بيع سفرجل :

لله من سفرجلي شاقني
حيّا بكاس الراس مع القرنفل
بفتح طرف بابلي أكل
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله، في بيع الورد :

لله ورد نبأ البديع سنا
لما تأملت روض وجنته
وما جرى في الثمر من شهد
تيم قلبي بخده الورد

عداوة النساء

طاعتهم تردى العقلاء وتذل الأعزاء :

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هّن نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعزاء . . .

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزين وتتمطرّ ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاعت للناس ، فهي حسنة النظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا بيده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلا وضاع ، ولا استؤمننّ على سرٍّ إلا
ذاع ، ولا أطقن سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقل له :

كيف تدمّهنّ ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنىّ . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرن العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .
وقيل لبقرات : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .
ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌّ يجنى شرّاً . . ورأى رأس امرأة على شجرة فقال : ليت كل الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعمرس ، وقد زين داره وزوّقها وكتب على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » .
فقال له : « فامراتك من أين تدخل ؟ » .

وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لهن : اسكنن ، فإنما أنتن لعب ، إذا فرغ لكنن ، لعب بكنن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربنه ، فقال لأصحابه : كفّوا عنهنّ ، فإنّ ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا نخر ، وإن غلبنا فهى الفضيحة الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهنّ يسكن ناحية منهن ، فتى احتاج الرّجل إلى امرأته أتاها فقصى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت ولدًا ربّته حتّى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى ميس لثلاً ينعما الطمن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن صحبتنّ ، ولكن لا بدّ من الأدب في ذلك .

قال عمر رضى الله عنه : عودُوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجريهنّ على الألسنة .
 وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهنّ وخالفوهنّ »
 وقال على - رضى الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يابنّى ومشاورة النساء ، فإن
 رأيهنّ إلى الألفن ، وعزمهنّ إلى الوهن . واكف عليهنّ من أنصارهنّ بحجّبك إياهنّ ،
 وإن استطعت ألاّ يعرفنّ غيرك فافعل ، ولا تطلّ الجلوس معهنّ فيهلكنك وتملّهنّ ، واستبق
 من نفسك بقيّة .

وقال النّبىّ عليه الصلاة والسلام : « كمل من الرجال كثير ، ولم تكل من النساء
 إلّا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران .
 وخطب النّبىّ عليه صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لهنّ : « إن كنّ إذا جعتنّ دعتنّ ،
 وإذا شبعنّ أثيرتنّ » . وفى بعض الروايات ورد - بدلاً من لفظ (أثيرتنّ : حجلتنّ) .
 ومعنى (دعتنّ : خضعتنّ ولصقنّ بالدقماء ، وهى غيرة التراب ، ويقال - فقرت مدقع ،
 أى ملصق بالدقماء . وقالوا : رماه الله بالدوقمة ، وهى الفقر والذلّ ، وجوع ديقوع - أى :
 شديد .

وقال النّبىّ عليه أفضل الصلاة والسلام - فى النساء : « ما تركتُ بعدى فتنةً أضرتُ على
 الرجال من النساء » . وفى الشهاب : النساء حباثل الشيطان . وقال سعيد بن المسيّب رحمه الله :
 ما أيس الشيطان من شئ إلّا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،
 وقد ذهبَ بصره : ما شئ أخوف عندى من النساء . وقال بعضهم فى هذا المعنى :

أضّر شئ على الإنسان شهوته	تلك التى أوردته لجة النكد
إن الفضول لعمرو الله أدخله	فى أن يكابد همّ الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه	كلّ بشوته ، فليعط ، أو .. يمد
فاضطره الحال أن يسعى ليرضيهم	فطلّ من بلد يسرى إلى بلد
كأنه حَجَرٌ يرى به نرق	من هاهنا هنا ، أو من يدٍ ليد
ما همّه الدهر إلّا ما يؤلّفه	وما يجمّعه من جيّد وردي

وما يبالى حراماً منه ذاك أنى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أمسى يُفرّقها فيهم وينتعه
ورُبّما أسخط المسكين خالقه
الفرّض ضيّعه ، والدّين أتلفه
وكلّ ذلك من أجل النساء ، فلا
يسلّبن لبّ ذوى العقل الرّصين ، كما
ياربّ شهوة وقت أورت غصصاً
قد كان فى شغلٍ عنهنّ قاطبةً
لكنّه عميت عن ذاك مُقلّته

ومن شعر أبى العمران الميرتلى رحمه الله :

وقالوا : تزوّج فننعم الفتاة
ولو أستطيع لطلّقتُ نفسى
أشقى بها دون ما ضرة
وما تقنع العرسُ منى بشيء
فنفسى أولى بنفسى ، ودع

عرّضنا عليك تنلّ خيرها
فكيف أضيف لها غيرها
وأمن من ضرةٍ ضيرها
سوى أن تصيرنى غيرها
سواها تسرّ وتصلّ سيرها

بنات الأربعين من الرّزّايا :

أنشدنى أبو عبد الله اليزيدى ، قال : أنشدنى عمى لمحمد بن عبد الله بن طاهر :

مطيات السرور بنات عشر
فإن جاوزتهنّ فسر قليلاً
مقاساة النساء مع اللّيالى

إلى عشرين ، ثمّ قف المطايا
بنات الأربعين من الرّزّايا
إذا أولدتهنّ من البلايا

طرائف عن الحب

حيلة عاشق :

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع « عُتْبَة » جارية المهدي ، تدُلُّ على كمالِ ظرفه ؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال :

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر « عتبة » - لأول دخوله بغداد ، ولم ينل منها شيئاً ، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر ، ففضى فلبس ثياب راهب ، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه ، وسأل عن رجل كبير في السوق ، فدُلَّ على شيخ صائغ ، فجاء إليه فقال : إني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة . . يعني « عُتْبَة » .

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق ، وجاء إلى « عتبة » فقال لها : إنَّ الله قد ساق إليك أجراً ، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك . فقالت : هاتوه . فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زيِّ الراهب - فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . ثمَّ قطع الزنار ، ومال على يديها فقَبَّلَهَا .

فلما فعل ذلك ، رفعت البرُّنس عن وجهه ، فعرَفَتْهُ وقالت : نَحْوَهُ ، لعنه الله ! فقالوا لها : لا تلغنيه فقد أسلم . فقالت : إنما فعلت ذلك لِقَدَرِهِ . فعرضوا عليه كسوة ، فقال : ليس لي حاجة إلى هذه ، وإنما أردتُ أن أشرُفَ بولائها ، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بمحضوركم .

وجلس أبو العتاهية ، فجعلوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر ، وهو في ذاك ينظر إليها ، لا تقدر له على حيلة !

وحدث المبرِّدُ : أن « رَيْطَةَ » بنت أبي العباس السفاح ، وجَّهت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للعتق ، وأمرت جاريَّتها (عُتْبَة) - وكانت لها ثم صحت « الخيزران » بعدها - أن تحضر ذلك . فأينها الجلوسة إذ جاء « أبو العتاهية » في زيِّ متنسِّك فقال لها :

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى عَلَى الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شراى وعتي ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبد الله فقالت : إني لَأَرى هيئة جميلة ، وضعفاً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليناً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية : أتأذنين لى - أصلحك الله - فى تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف . فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدرين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ، وإتما احتال عليك حتى قبل يدك !

بين الحب والمال :

وكان أبو العتاهية قد قصد بنداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمرائها ، ولم يكن لهم فى بنداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون بالمسجد الذى يباب الجسر ، فى كل غداة . فرّت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان . فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه . ثم مرّت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه (عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث الناس بعشق أبى العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بمال على أن يدعا التعرض للجاريتين . فإن قبلوا المال كانا مستأكبين ، وإن لم يقبلوا كانا عاشقين .

فلما كان الند ، مرّت (عتبة) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعا ، فتبعمهم ، فمضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جاست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ، وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأنيتُك ، فإن أنت كففت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ، ثم لم آمن عليك .

فقال لها أبو العتاهية : فاعلى ، بأبى أنت وأمى ، فإنك إن سفكت دمي أرحمتي . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لى فيك نصيب . !

فقال له : أبقي على نفسك ، وخذ هذه الخمسة دینار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولّى هارباً ، فقالت : ردّوه ، وألحّت عليه فيها . فقال لها : جِملتُ فداك ، ما أصنع بعرض زائلٍ من الدنيا وأنا لا أراك ؟ . . والله إنك لتبطين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحبتُ . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تالحّ عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفيني :

ومن ألطف ما قاله أبو العتاهية في (عتبة) قوله :

يا حلوة المئين زوريني	قبل المات ، وإلا . . فاستزيريني !
هذان أمران ، فاختارى أحبهما	إليك ، أو .. لا . فداعى الموت يدعوني
إن شئت موتاً ، فأنت الدهر مالكة	روحي ، وإن شئت أن أحيأ ، فأخيني
يا (عتب) ما أنت إلا بدعة خلقت	من غير طين ، وخلق الناس من طين
إني لأعجب من حبّ يقربني	مما يباعدني عنه ، ويقصيني
لو كان ينصفني مما كلفت به	إذن .. رضيت ، وكان النصف يرضيني
يا أهل ودّي . . إني قد لطفت بكم	في الحب - جهدي - ولكن .. لا تبالوني
الحمد لله ، قد كُنّا نظنّكمو	من أرحم الناس - طراً - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	أطعمتني في قليلٍ كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا (عتب) يا قمر الرّصافه	ويا ذات الملاحه والنظافه
رزقت مودتي ، ورزقت عطفي	ولم أرزق - فديتك - منك رافه
وصرت من الهوى دنفاً سقياً	صريماً كالصرير من السلافه
أظّل إذا رأيتك مستكيناً	كأنك قد بعثت على آفه

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمدٌ ، ولم يدِرْ ما بي
فتنفّستُ ، ثم قلتُ : نعم ، حبًّا
لو تجسّين يا (عُتْبَةُ) قلبي
قد لعمري ملّ الطّبيبُ وملّ الـ
ليتنى متّ فاسترختُ ، فإني
أُحبُّ النداءَ (عُتْبَةُ) حقًّا ؟
جرى في العروق ، عرقاً ففرقاً
لوجدتِ الفؤادَ قرحاً . تفقّأ
أهلُ منى ، ممّا أقاسى وألقى
أبدًا - ما حيت - منه ملقى

وفيه يقول :

(عُتْبَةُ) ما للخيال
لا أراه . . . أنا
لو . . . رآني صديق
أو . . . رآني عدوّي
خبريني ومالي ؟
زائرًا . . . منذ ليالٍ
رقّ لي ، أو رثي لي
لان من سوءِ حالِي

من الحب إلى الزهد :

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَةُ) - فوعده بترويجها ، وأنه سيسألها
في ذلك فإن أجابت جهّزها له وأعطاه مالا عظيماً . ثم إنَّ الرشيد سنج له شغل استمرَّ به ،
فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها
على الرشيد وهو يتبسم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تسمتُ الرّياح لحاجتي فإذا لها من راحتِكَ شيمُ
فقال الرشيد : أحسن الخبيث . إذن . . . على الثانية . وكان مكتوباً عليها :

أعلقتُ نفسي من رجائك ماله عنقُ يحثُ إليك بي ، ورسمُ

فقال الرشيد : على الثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولربما استيأستُ ، ثم أقول : لا إنَّ الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدٍ نقضى حاجتك إن شاء الله ، وبمث إلى (عُمْتَبَة) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظريني الليلة في منزلك .

فأكبرت (عتبه) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستعفيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها ؟ قالت : أنا أمتك ، وأمرك نافذ في .. فيما خلا أمر أبي العتاهية ، فإني حلفت لأبيك رضي الله عنه - بكل عيّن يحلف بها برّ وفاجر . وبالشئ إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما انقضت عني حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئاً تصدّقت به ، إلا ما أصلي فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسروور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لا أدري أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئست منها إذ ردّتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بعدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وتزهد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :
 قطعت منك حبالَ الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالي
 ووجدت برد اليأس بين جوانحي فننيت عن حل وعن ترحال

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول النزل إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إنني لما قلت :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصد والمالات
 منحني مهجتي وخالصتي فكان هجرانها .. مكافاتي
 هيمني حبها ، وصيرني أهدوءة في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كَأَنَّ آتِيَا أَنَا نِي فَقَالَ : مَا أَصَبْتَ أَحَدًا تَدْخُلُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عُتْبَةَ ،
يُحْكَمُ لَكَ عَلَيْهَا بِالْمَعْصِيَةِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ؟! .. فَانْتَبَهْتَ مَذْعُورًا ، وَتَبْتَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سَاعَتِي
مِنْ قَوْلِ الْغَزَلِ .

مَعِيَ بَيْنَ أَضْلُعِي :

الْحُبَّةُ هِيَ بِذَلِكَ الْمَجْهُودُ فِيمَا يَرْضَى الْحَبِيبُ^(١) . وَقِيلَ : هِيَ سَكُونُ بِلَا اضْطِرَابٍ ،
وَاضْطِرَابُ بِلَا سَكُونٍ . يَضْطَرِبُ الْقَلْبُ فَلَا يَسْكُنُ إِلَّا إِلَى مَحْبُوبِهِ . وَلَا يَزَالُ يَضْطَرِبُ
شَوْقًا إِلَيْهِ حَتَّى يَسْكُنَ عِنْدَهُ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ : هِيَ حَرَكَةُ الْقَلْبِ عَلَى الدَّوَامِ إِلَى الْمَحْبُوبِ ،
وَسَكُونُهُ عِنْدَهُ . وَقِيلَ : هِيَ مَصَاحِبَةُ الْمَحْبُوبِ عَلَى الدَّوَامِ . كَمَا قِيلَ :

وَمِنْ عَجَبِ أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ وَهُمْ مَعِيَ
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

يَرَى الْفُؤَادُ الرُّوحِينَ يَمْتَزِجَانِ :

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

أَعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ إِلَيْهَا . وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِ ؟
وَالْتِمُّ فَاهَا كَيْ تَزُولَ صَبَابَتِي فَيَشْتَدُّ مَا عِنْدِي مِنَ الْخَلْفَقَانِ
وَلَمْ يَكْ مُقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَّفَ الشَّفَقَانِ
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحِينَ يَمْتَزِجَانِ

(١) فِي رَوْضَةِ الْمُحِبِّينَ وَنَزْهَةِ الْمُشْتَاقِينَ ص ٢٩ .

لئن ساءنى لقد سرنى :

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه
لقد متُ رجلى نحوها ... فوطئتهما
لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة
رضاً لك أو مُدنٍ لنا من وصالك
هدى منك لي، أو.. ضلة من ضلالك
لقد سررتني أنني خطرتُ ببالك

العشق عفة ونزاهة :

قال الشاعر :

إذا كان حظُّ المرء ممن يحبُّه
حديثٌ كماء الزن بين فصوله
ولم فم عذب اللثات، كأنما
وما العشق إلا عفة ونزاهة
وإني لأستحي الحبيب من التي
حراماً، فخطى ما يحلُّ ويحتملُ
عتاباً به حسن الحديث يفصلُ
جناهن شهد فت فيه القرنفلُ
وأنس قلوب أنهن التغزلُ
تريب، وأدعى للجميل فأجلُ

الطرف رسول رائد للقلب :

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهابة ، فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :
وكنتم متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً ، أتعبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ

وقال الفرزدق :

تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدْعُ لَهُ
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا ، وَلَمْ أَرَ قَاتِلًا
فُوَادًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا
بَغِيرِ سِلَاحٍ مِثْلِهَا حِينَ أَقْصَدَا

وقال آخر :

وَمَنْ كَانَ يُوْتِي مِنْ عَدُوِّ وَحَاسِدٍ
هَآءِ اعْتَوَرَانِي : نَظْرَةً ثُمَّ فِكْرَةً
فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أَتَيْتُ وَمِنْ قَلْبِي
فَمَا أَبْقِيَا لِي مِنْ رِقَادٍ وَلَا لَبٍّ

وقال ابن المعتز :

مَتَيْتُمْ رِغْيَ نَجْمِ الدُّجَى
عَيْنِي أَشَاطَتْ بِدَى فِي الْهَوَى
يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ
فَابْكُوا قَتِيلًا بِمَضِهِ قَاتِلُهُ

وقال الأَرَجَانِي :

تَمَتَّعْتُمَا يَا مُقَلَّتِي بِنَظْرَةٍ
أُعِينِي كُفًّا عَنْ فُوَادِي فَإِنَّهُ
وَأُورِدْتُمَا قَلْبِي أَمْرًا الْمَوَارِدِ
مِنْ الظُّلَمِ سَمْعِي اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ

وقال آخر :

عَاتَبْتُ قَلْبِي لَمَّا
فَازِلَمُ الْقَلْبُ طَرَفِي
رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلًا
فَقَالَ طَرَفِي لِقَلْبِي
وَقَالَ : كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقُلْتُ : كُفَّا جَمِيعًا
بَلْ كُنْتَ أَنْتَ السَّوْولَا
تَرَكْتُمَانِي قَتِيلًا !

لَذَّةُ الْحَبِّ كُلِّهَا :

قال الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية :

« ليس للقلب والروح لذَّة ولا أطيبُ ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرَّة العين به ، والأنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنَّ مثقال ذرَّة من هذه اللذَّة لا يُمدَّل بأمثال الجبال من لذَّات الدنيا » .

وقال بعض العارفين : « مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ . ومن لم تقرَّ عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ويكفى في فضل هذه اللذَّة وشرفها أنَّها تخرج من القلب أَلَمَ الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألَّم بأعظم ما يلتذُّ بها أهلها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضعٌ - الحاكم فيه الذَّوق لا مجرد لسان العلم » .

وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليرُّ بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذَّة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ كَيْتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي
فَكَانَتْ لِقَابِي لَذَّةَ الْحَبِّ كُلِّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي :

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادها ، فقالت :
 إِنَّ أَبَاكَ مَسْنَى . فشغف بها ، وقال فيها :

أرى ماء وبي عطش شديد ولكن لا سبيلَ إلى الورودِ
 أما يكفيكَ أَنَّكَ تملكيني وأنَّ الناسَ كلهمُ عبيدي
 وَأَنَّكَ لَوْ جَهَدْتَ على تلافي لقلتُ من الرُّضَا : أحسنتَ زَيْدِي

لَذَّةُ اللِّقَاءِ شِفَاءٌ :

وذكر العتبي أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
 فنزلا تحت سَرَحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها :

خَبَّرِينَا - خَصَصْتَ بِالغَيْثِ يَا سَرُّ حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقُ فِيهِ شِفَاءُ

وكتب الآخر :

هل يموتُ المحبُّ من أَلَمِ الْحُبِّ بُّ ويشقى من الحبيبِ اللِّقَاءُ
 ثم مضيا ، فلما رجعا وجدا مکتوباً تحت ذلك :

إِنَّ جَهْلًا سَوَّاءَكَ السَّرْحَ عما ليس يوماً عليك فيه خفاءُ
 ليس للعاشقِ المحبُّ من الْحُبِّ بُّ سرى لَذَّةُ اللِّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف :

وقال أبو النجّاب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، يلوذ ويتموّذ ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصّدْرُ
فلا ينقضى ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضى العمرُ

فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ، ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدّ عن معرفة ما بي . فتمنّيتُ المنى . والله ما يسرّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك . وإنّي أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمرى ، ويجعله ضجيجى في قبرى ، دريتُ به أو لم أدّر . هذا دعائى ، أو أنصرف من حجّتى . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال : خوف ألا يستجابَ دعائى ، وله قصدت ، وفيه رغبت !

محبة الأعداء :

من الكلمات الماثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .

وقال دِعبِل الخِزاعى :

أشبهت أعدائى فصرْتُ أحبّهم إذ كان حظّى منك حظّى منهم
أجِدُ الملامّة في هوائِكَ لذينة حبّاً لذكركِ فليكنّنى اللّومُ

وقال آخر :

مَنْ كان يشكر للصّديق فإنّنى أحبُّو بصالحِ شُكرى الأعداء
هم صيّرُوا طَلَبَ العالى دِيندى حتى وطئتُ بِنعلِ الجوزاء
ولربّما انتفع الفتى بعمدوّهِ والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاء

وقال آخر :

عداى لهم فضلٌ علىَّ ومِنَّةٌ
هو بحثوا عن زَلَّتِي فاجتنبتها
فلا قطع الرحمنُ عني الأعدايا
وهم نافسوني فاكتسبتُ المآلِيا

وقال أحد الشعراء :

سررتُ بهجرِكِ لَمَّا علم
ولولا سروركِ ما سرَّني
تُ أنَّ لقلبك فيه سرورا
ولا كنتُ يوماً عليه صبورا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهى :

١	العقد الفريد	١٨	التبريزى على الحماسة
٢	خلاصة الأثر	١٩	سحر العيون
٣	أمالى أبى القاسم الزجاجى	٢٠	فوات الوفيات
٤	الإسعاف شرح شواهد الكشف	٢١	اليتيمة للشماعلى
٥	المضاف والمنسوب	٢٢	بغية الوعاة
٦	الحيوان للجاحظ	٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب
٧	نقح الطيب		اتفاق المباني واقتراق المعاني
٨	وفيات الأعيان لابن خلكان	٢٤	إرشاد الأديب
٩	خزانة الأدب للبغدادى	٢٥	الأغانى
١٠	لوعة الشاكى ودمعة الباكي للصفدى	٢٦	العزیز المحلى
١١	طوق الحمامة فى الألفة والألاف	٢٧	علم الدين لعلى باشا مبارك
١٢	سبعة المرجان	٢٨	الروض الأنف
١٣	شرح شواهد التحفة الوردية	٢٩	الكامل لابن الأثير
١٤	عيون التواريخ	٣٠	بدائع الفوائد
١٥	خاص الخاص للشماعلى	٣١	روضة الأعيان للتراجم
١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور	٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين
١٧	أمالى أبى على القالى		

فهرس

كتاب الحب والجمال عند العرب

٢٨	أنواع الحب	٣	تمهيد لمقدمة الكتاب
٢٨	ضروب المحبة	٤	دعاء مأثور
٢٨	حب الولد	٥	كلمة اللجنة
٣٠	حب الأيامى واليتامى	١٣	صفات الحب وأغراضه
٣١	أمثال فى الحب	١٣	الحب ما هو
٣٢	حجة بالغة	١٤	الحب والمحجوب
٣٣	حب الأزواج	١٦	عشق الشرف وعشق الجمال
٣٣	زواج النبي من خديجة	١٧	أحلام المحبين
٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها	١٧	الحبيب الأول والحبيب الآخر
٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	١٨	الحب مع اختلاف الدين
٣٦	السيدة سكينة بنت الإمام الحسين	١٩	الحب فى كل حال
٣٨	عاتكة بنت زيد	٢٠	حب النساء والمال
٤١	زواج امرئ القيس	٢٣	الحب خضوع النفس
٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	٢٤	أشقى الناس أهواها
٤٤	زواج حاتم الطائى	٢٥	رابعة العدوية
٤٦	حب سحيم لعائشة بنت طلحة	٢٥	الحب أحسن المعاصى
٤٧	الثريا وعمر بن أبى ربيعة	٢٦	الهوى قدر
٤٩	أبو الأسود الدؤلى وامرأته وابنهما		
٤٩	المجرد والمرأة التى تبعها		

صفحة		صفحة
٧٦	الغزل ووصف النساء	٥١ الشعراء العشاق
٧٦	الغزل والغزل والفرق بينهما	٥١ جميل بثينة
٧٦	يا ليل الصب متى غده	٥٣ كثير عزة
٧٨	استحسان وضاعة الوجه	٥٤ عمر بن أبي ربيعة
٧٩	كواكب لا كواكب	٥٥ من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة	٥٦ حب امرئ القيس
٨١	أصل بلقي من قد غزاني	٥٧ ذو الرمة وميعة
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة	٥٧ توبة وليل الأخيلية
٨٣	صبح الشبيب يدل على ليل الشباب	٥٩ عبد الله بن طاهر وجارسته
٨٣	الشاعر الغزال	٦٠ بحر هوى ليس له شط
٨٤	غزال قد غزا قلبي	٦٠ حب زينب بنت إسحاق النصراني
٨٥	غرام أم جنون	٦١ التأثب من الحب
٨٦	سلموس وسلمسة	٦٢ الحب والجمال
٨٧	عاتكة بنت معاوية	٦٢ حب امتداح النساء
٨٨	وصيفة مهدوية في مجلس ابن صماد	٦٣ أعرابي يصف امرأة
٨٩	وصف جارية المنذر إلى أنوشروان	٦٤ الوصف من المشاهدة
٨٩	فارس عربي جميل	٦٦ أسنان النساء
٩١	غنيه : شحاذه	٦٦ دارة يلعب فيها البدر
٩٢	العيون	٦٧ المرأة والطبيب
٩٢	لأعذب العين	٦٧ تتف الوجه بالخيط
٩٣	معاني لفظ العين	٦٨ تشبيه المرأة ببدر السماء
٩٥	وصف العين وأسماء أجزائها	٦٨ لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
١٠٠	آفة النظر وغائلته	٧٠ تكنى المرأة بالشاة أو البيضة
		٧١ في أسماء النساء

الصفحة	الصفحة
١٤٠	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
١٤١	١٠٢ هند وأبو سفيان
الأعزاء	١٠٢ حكمة التعدد في الإسلام
١٤٣ بنات الأربعين من الرزايا	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
١٤٤ طرائف عن الحب	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
١٤٤ حيلة عاشق	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
١٤٥ بين الحب والمال	١٠٨ رايات من خمر النساء
١٤٦ قليل منك يكفيني	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
١٤٧ من الحب إلى الزهد	١١٠ المرأة لعبة زوجها
١٤٩ معي بين أضلعي	١١٠ مات زوجها فتزوجت
١٤٩ يرى الفؤاد الروحين يمتزجان	١١٢ وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها
١٥٠ لأن ساءني لقد سرني	المتوفى
١٥٠ العشق عفة ونزاهة	١١٣ القبلة وإباحتها
١٥٠ الطارف رسول رائد للقلب	١١٥ محاسن الخلق والخلق
١٥٢ لذة الحب كلها	١٢٢ ما قيل في الأسماء
١٥٣ أحسنت زيدي	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
١٥٣ لذة اللقاء شفاء	
١٥٤ دعاء في الطواف	
١٥٤ محبة الأعداء	